

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
المنية الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المرآة

مجلة أسبوعية للتقصص والذخائر

تصدر مرتين في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٢ محرم سنة ١٣٥٦ - ١٥ مارس سنة ١٩٣٧

العدد الرابع

وكان الشتاء في عامنا
المنصرم قارساً شديداً
الزمهرير ، فكانت الحاجة
إلى التطاق والانبطاق
في شهر مايو أشبه بالنشوة
التي تغمر وبالحميا التي
تفيض

ففي ذات صباح من
أصباح الربيع تيقظت فإذا
بني ألمح من النافذة

بساط البحر الأزرق ممدوداً على سطوح المنازل
الحجائرة ، وقد اشتعلت الشمس في سمرته
وحواشيه ، وكانت المصافير الناشبة في الشبايبك
تفرد وتسرف في التمريد ، والخاديات في جميع
طبقات البيت يغنين ويبالغن في التريد ،
ونجمة الجيور والمرح تصعد من الشارع إلى ،
تخرجت والفكر جذلان مشرق أهيم في المدينة

في الربيع

للقصصى الفرنسى جى دى موباسان

بقلم أحمد الزيات

حينما تقبل أوائل الأيام الجميلة فتستيقظ الأرض ،
وتحضر الحقول ، وينبعث النسيم الفاتر العاطر
فينفج الجسوم ويملا الصدور حتى كأنما يخلص إلى
الأفئدة ، تحالج أنفسنا رغبات غير واضحة لسعادة
غير محدودة ، فتثوق إلى الجريان ، ونصبو إلى
الجولان ، ونسى إلى المغامرة ، ونهفو إلى
ارتشاف الربيع

لا أعرف لى وجهها ولا غاية ؛ وكانت بسماوات السرور
تتألق فى وجوه المارين ، ونسبات السعادة تهتز فى
أجواء الربيع . وكأنما هبت على المدينة نفحة سارية
من الحب ، فالفتيات اللاتي عشن فى زينة الصباح
وفى عيونهن حنان مكتوم ، وفى مشيتهن رشاقة
خوة ، كن يبعثن فى قلوب اضطرابا ومشغلة

بلغت ضفة
(السين) ولا
أعرف كيف ولا
أدرى لماذا ؛ فلما
رأيت البواخر تجرى
بحو (سيربنس)
نازعتنى نفسى إلى
أن أجوس خلال
النساب فركبت
إحداها

وكان ظهر
الباحرة (موش)
مغطى بالمسافرين
فما تجد موصفا
لقدم ، لأن أشعة
الربيع الأولى
لاندع إنسانا قابعا

فى مسكنه ؛ وكان كل راكب عليها قد استخفه
النشاط فهو يذهب ويحى ، ويضطرم فى نفسه ويتحدث
إلى جاره . وكان جوارى لفتاة صغيرة لا شك أنها
عاملة . هى باريسية الأنافة بارعة الظرف ، لها
رأس لطيف التكوين أشقر اللون ، قد استوى
شعره حيلقا على الصدغين ، ثم تحدد وتجدف فصار كأنه
ضوء متموج ؛ ثم انحدر إلى الأذن ، وسال على العنق ،

ثم انتهى فى أسفل الجيد إلى زغب دقيق رقيق أصهب
تكاد لا تراه ، ولكنك تحس فى نفسك رغبة
ملحة فى أن ترسل عليه غمرا من القبل
التفت الفتاة إلى إجابة لألحاح نظرى ؛ ثم كسرت
طرفها فجأة ، ولاح على وجهها قطوب خفيف أشبه
بالابتسام البادى ، أخفى زاوية فها بعض الخفاء ،
ولكنه أظهر ثمانية

ذلك الزغب الناعم
الشاحب الذى
ذهبت الشمس قليلا
كان النهر
الهادى بنفراج
ما بين ضفتيه ،
والجو الضاحك
تنتشر فيه سكية
الدفء ، والغضاء
المشرق ترخر به
غمضة الحياة ،
فرفعت جارتى
بصرها ثمانية إلى ،
وفى هذه المرة كما
بدألى من مراقبتها
كانت بسماواتها

صريحة وطمة . وكانت فى هذا الوضع رائحة
فاتنة حتى كشفت فى نظرها الخناس الحارب ألف
شئ . كانت مجهولة : كشفت فيه أغوارا لم تدرك .
فيها كل ما نرغب من الحنان ، وكل ما نطلب من
الشعر ، وكل ما نبغى من السعادة ؛ فتمسكتنى رغبة
جنونية فى أن أفتح ذراعى فأحملكما إلى مكان آخر ثم
أهس فى أذنها بشعر الهوى وموسيقى الغزل



مخالبه : ومن واجبي أن أنبهك إليه كما ينبيه
الروسيون النار إذا قرص أنه البرد فيبس »

لبثت دهشاً مبهوتاً أمام هذا الرجل الغريب ،
ثم اتخذت هيئة الوقار ، وتكافت لهجة الجذ ،
وقلت له : أراك تدخل ياسيدى فيما لا يعنيك »
فتحرك حركة عنيفة ثم قال : « آوه ! سيدى !
سيدى : إذا رأيت إنساناً يشرف على الفرق فهل
يجوز أن أدعه يفرق ؟ إستمع قصتي فستعرف بعدها
لماذا جرأت على أن أكلمك على هذا الوجه :

« كان ذلك في مثل هذا الفصل من العام الماضي ،
ويجب أن تعلم ياسيدى أولاً أنى موظف بوزارة
البحرية ، ورؤساؤنا العسكريون يتخذون من
شاراتهم وشرائطهم حجة على أن يعاملونا معاملة
مهيبة : آه لو كان كل الرؤساء ملكيين ! ما علينا !
فلمحت من شباك مكنتى طرفاً أزرق صغيراً من
حاشية الأفق يطير فيه السنونو ، فقام بنفسى
أن أرقص في وسط دقازى وأضابيرى . واشتدت
رغبتي في الحرية حتى ذهبت على السكره منى إلى
قردى أو رئيسى ، وهو رجل ضئيل الجسم نرق
الطبع لا يتشاور عن وجهه الغضب لحظة ، فقلت له :
إنى مريض ، فصاح فى وجهى وقال : أنا لا أصدق
ذلك ، اذهب عني . أظن أن العمل عثى على أمثالك
من الموظفين ؟ » لم أذهب إلى المكتب كما أراد ،
وإنما ذهبت إلى السنين كما أردت ؛ وكان حو ذلك
اليوم نحو هذا اليوم ، فركبت الباخرة (موش)
لأجول جولة في ضاحية (سان كاو) . آه ياسيدى
ما كان أحق رئيسى أن يحول بينى وبين الخروج ؛
لقد خيل إلى أن مشاعرى وجسمى مدتها حرارة
الشمس ، فأنا أحب كل شيء : أحب الباخرة والنهر
والشجر والمنازل والحيران وكل ما فى الطبيعة من
صامت وناطق . لقد كنت أتوق إلى أن أعانق أى

مات عليها وهممت أن أفتح فى لأتكم وإذا
بيد تلمس كتفى ، فالتفت مبهوتاً فرأيت رجلاً عادى
الهيئة متوسط العمر ينظر إلى فى حزن ويقول فى
جد : « أريد أن أكلمك فى أمر » فبدت على وجهى
جهومة لم تخف عليه لأنه قال : « إن الأمر جد »
فنهضت من مجلسى وتبعتته حتى اتبذنى
مكاناً فى الطرف الآخر من السفينة ثم أنشأ يقول :
« حينما يدنو الشتاء ياسيدى بقره ومطره وثأجه
يقول لك طبيبك كل يوم : « لا تهمل تدفئة
قدميك ، واحذر البرد والزكام وذات الرئة وذات
الجنب » فتجسب ألف حساب وتتخذ ألف حيلة :
تكتسى القميص السوف ، وترتدى المعطف
الثقيل ، وتنتعل الحذاء الغليظ ، ثم لا يملك
ذلك من أن تقضى شهرين فى السرير . ولكن
حينما يعود الربيع بنفحة عوده ، وبهجة وروده ،
ونسيمه الفاتر الذى يرخى المفاسل ، ونفسه
الماطر الذى يبابل الصدر ، لا تجد من يقول
لك : « حذار من الحب ياسيدى ! إنه يتعمقك
فى كل مكان ، ويترصدك فى كل حين . كل حيلة
منصوبة ، وكل أساحته مشحوزة ، وكل غدراته
مهيأة ! حذار من الحب ! حذار من الحب ! إنه
أشد خطراً من الزكام وذات الرئة وذات الجنب .
إنه لا يشفق ولا يرحم ، ومن طبعه أن يحمل فخابه
على أن يأتوا من السخف والحق ما لا علاج له
ولا حيلة فيه » أجل ياسيدى ! إن من رأى أن
تكتب الحكومة فى كل عام بالخط الغليظ على
الجدران هذا الاعلان : « حذار الربيع ، فاحذروا أيتها
الفرنسيون من الحب » كما يكتبون على أبواب المنازل
المدهونة : « احذروا من الدهان ! » وما دامت
الحكومة لم تفعل فأتى أقوم مقامها فى ذلك وأقول
لك : « احذر من الحب ، فإنه يهيم أن ينشب فيك

والمرء يا سيدي يعود بهيماً خالصاً في بعض أحيائه .
ثم غنت وهي ثائرة المشاعر مستطارة اللب ألف
أغنية : منها الرفيع ومنها الوضع ؛ وفي هذه اللحظة
كانت هذه الأغاني وتلك في مسمعي سواء في براءة
الشعر وسمو اللحن . فأنفعلت أشد الانفعال وكدت
أبكي من فرط التأثر

أدركها التعب بعد قليل فقدمت على منحدر
ممشوش ، وقدمت أنا بجانبها وتناولت يديها
الصغيرتين ، خرك شفتي عليها ما وجدت
على أناملها من آثار وخز الآلة ، فقلت : هذه
هي العلامات المقدسة للعمل . فقالت : آه يا سيدي !
أندري ماذا تدل عليه العلامات المقدسة للعمل ؟
إنها تدل على المصنع الصاحب بانفو الزميلات ،
والسمع الملوث بأفخس الهمسات ، والذهن المدنس
بأفئذ الحكايات ، والمغاف المثلوم ، والعرض المكوم ،
وقضول الأحاديث السخيفة ، وغثاثة الأفكار
الضعيفة ، وشقاوة الحياة اليومية ، وعلى كل
ما تتخلى به المرأة العامية العاملة من ضيق الفكر ،
وهجر الحديث ، ووقاحة التبذل

ثم حديق كل منا في عين صاحبه طويلاً .
آه : ما أقوى عين المرأة ! وأشد ما تفتن وتغزو وتملك
وتسيطر : ما أعظم هذه العين وأملأها بالوعود
والأحلام والأمرار ! لقد قالوا : إن العين مرآة
القلب . وما أبعد هذا القول عن الصدق يا سيدي !
فإن المرء لو اطّلع من العين على دخيلة النفس لأبصر
رشدته وأفزع عن هواه ؛ فلا تصدق !

ثم تآزى وحن جنوني ، ففهممت أن أضغطها
إلى صدري فقالت : دع عنك هذا واتسقط الحجاب !
حينئذ جثوت على قدميها ، وفتحت فمي بين يديها ،
ثم أخذت أريق على ركبتيها كل ما كان يكفاني من
الحزان وبكري من الحب . فدهشت لاضطرابي

شيء كأنما ما كان . ذلك هو الحب الذي كان يدبر
حيله وينصب شراكه

وفي (التروكادرو) على حين بغتة صعدت إلى
الباخرة فتاة في يدها صرة وجلست أمامي . لقد
كانت فتاة المحاسن يا سيدي ، ومن العجيب أن
النساء يظهرن في أيام الربيع أحسن وأجل ،
إذ تبدو عليهن الجهارة والفتنة وشيء خاص
لا أدريه كأنه شرب النبيذ بعد أكل الجبن

نظرت إليها ونظرت إلى ؛ وكان ذلك حيناً
بعد حين كما فعلت صاحبتي . وأخيراً خيل إلى
من طول ما أدمنا النظر أنسا تمارقنا ، وأن ذلك
التعارف يجزئني أن أناقها الحديث ، فسلمتها ،
فأجابت على كلامي ؛ وكانت لطيفة الروح ، طليعة
الحديث ، فأطربتنني يا سيدي وأسكرتنني

وفي (سان كاو) نزلت ونزلت ، وكان الذي
معهما عملاً مطلوباً لبعض الناس فذهبت تسلمه . فلما
رجعت كانت الباخرة قد رجعت . فاخذت أمشي
بجانبها وعدوية الهواء تنزع مني ومنها زفرات
تنصعد ، فقلت لها : إن الجو في الغابات يكون أدوع
وأمتع . فقالت : أي نعم ، فقلت لها : أتجيبين
أن نحول هناك جولة ؟ فنقدتني خلسة بفظاها
السريع كأنما كانت تقدر في رأيها كم أساوي ، ثم
نزلت على اقتراحي بعد تردد قليل

ها نحن ذان نسير جنباً إلى جنب وسط
الأدواح والشجر ، ولا يزال تحت الأوراق بعض
الجليد ، والمشب الطويل الكثيف ذو الخضرة
اللامعة يفرق في ضوء الشمس ، ويشرق غلايين من
الحشرات تنحلب وتتماشق أيضاً . وكانت الطيور
تسجع في كل مكان ؛ فأخذت صاحبتني تركض وتنثب
نشوى من صفاء الهواء ووضاء الربيع ؛ وجعلت
أنا كذلك أتبعها فأعدو كما تعدو ، وأطفر كما تطفر .

اسمع ماذا حدث :

« وحدثها لا تغتر طول النهار عن السباب والشتيم . ثم هي لا تفهم قولاً ولا تعرف علماً . ثثرة فياضة تصم الآذان ، وغناء متصل يصدع الرأس . تشاجر الفحام واللاحام ، وتقص على البوابة دخائل البيت ، وتفشى إلى خادمة الجيران أمرار الفراش ، وتفسد زوجها بالمطالب الباهظة ، وتندفع في صدره بالحكايات السخيفة ، والاعتقادات الباطلة ، والآراء الفائلة ، والأحكام المسرفة ، حتى أكاد أبكي ياسيدي من القنوط والخيبة كما تحدثت أليها »

ثم غاب الرجل الانفعال والوجد فصمت ؛ وأدركنى على هذا المسكين الساذج رقة ، فأردت أن أجيب عن كلامه بشيء ، ولكن الباخرة كانت قد وقفت على مرفأ في سان كاو

نهضت الفتاة التي غزت فؤادى ومرت بجاني وهى خارجة ، فألقت على نظرة عن عرض ، وبسمة عن دلال ، ثم نزلت ؛ فهممت أن أثب وراءها ، ولكن جارى أمسك بكى ، فحاولت أن أنخلص منه بحركة عنيفة فتشبث بطرف سترى وجذبني إلى الوراء وهو يقول بصوت لفت إلينا الراكبين : لن تذهب ! لن تذهب ! فتضاحك من حولنا الناس وابثت في مكاني جامداً محنق الصدر ، لا أجرو على شيء أمام الهزء والفضيحة ، حتى عادت الباخرة ؛ وبقيت الفتاة

على الرصيف تشيعنى بالنظر الحزين الخائب وصاحبى إلى جانبي بفرك يديه وبهمس فى أذنى قائلاً :

« تالله ، لقد أسدبت إليك يداً لا ينقضى شكرها أبداً الدهرا » الزيات

وانقلابى ونظرت إلى عن عرض وكأنا تقول فى نفسها : « آه ! هكذا ينبغي أن يكون الميث بك والهيمنة عليك يا صاحبى ، وسـئرى ! » والرجال فى الحب ياسيدي صرخاء سذج ، والنساء فيه ناجرات حواذق

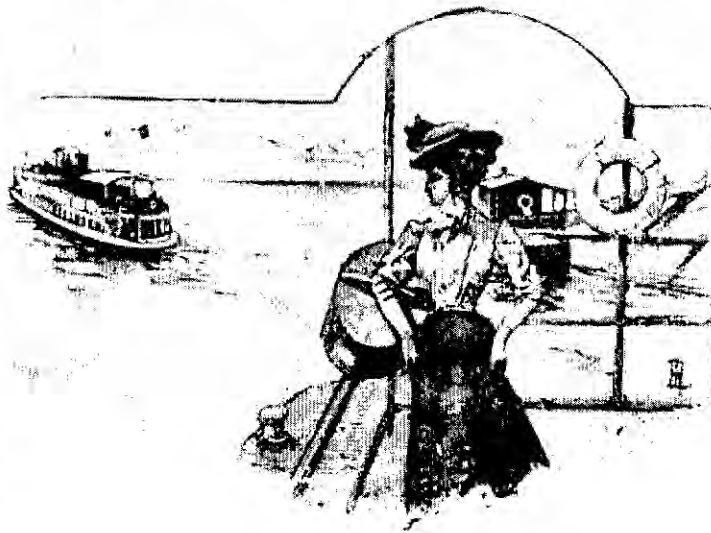
لقد كنت وقتئذ أستطيع الاستيلاء عليها مافى ذلك شك . ولقد أدركت هذا الخطأ بعد . ولكننى ما كنت أريد الجسد ولا أنشد اللذة . إنما كنت ابنى حنان المرأة الخالصة ، وجمال العمل الأعلى

فلما فرغت من بث نجواى وإعلان هواى همضنا فعدنا إلى سان كاو ولم أفارقها إلا فى باريس . وكانت لدى عودتنا كاسفة البال ساهمة الوجه فسألتهما عن سبب ذلك فقالت : هذا نهار من النهر التى لا تشرق فى حياة المرء إلا قليلاً » نحفق قلبى حتى كاد ينشق صدرى من شدة خفوقه

أقيمتها فى الأحد التالى ، وفى الأحد الذى بعده ، وفى سائر أيام الآحاد . فذهبت بها إلى بوجيفال ، وسان جرمان ، وميزون لافاييت ، وبواسى . وغشيننا كل مكان من أمكنة العاصمة يرتاده الحب ويتردد فيه الغزل . وكانت الساكرة لا تألو جهداً فى إذكاء هواى واضرام شوق ، حتى فقدت صوابى فلم تمض ثلاثة أشهر حتى تزوجتها

وهل يفعل

غير ذلك ياسيدي موظف يعيش وحده من غير أميرة ولا مرشد ؟ لقد حدثته نفسه أن الحياة مع الزوجة ستكون سعيدة رغيدة . ولكن



العقد الضائع

أقصوصة مصرية

للاستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

الحظ ألفينا الطريق عاصاً
بالسيارات فتمعجينا أولاً
ثم تذكرنا أن هذا يوم
الأحد فلا عجب إذا كان
الكثيرون قد أقبلوا
على السويس ليقتضوا
اليوم فيه .

وقطعنا بضع عشرات
من الكيلومترات في
سلام وفي ضحك أيضاً ،

ثم بلغنا أول مرافق في طريقنا فأشرت على ابن عمي
بأن يضع ناقل السرعة في المحل الثاني ففعل فوافت
السيارة في منتصف الانحدار . وكنا لا نزال مكاننا
حين وقف المحرك للمرة العاشرة . فاقترحت عليه أن
يكف عن العمل وأن يضطجع ويشمل سيارته .
ولكنه هز رأسه وقال : « هل أرجع بها
الفهقري ثم أبدأ من جديد ؟ »

فقلت له : « كلا ... إني أفضل السخاfty أن
أواجه الموت » .

وقالت أختي : « هل نستطيع أن ندفعها
بأيدينا حتى نبلغ ذروة هذا المرتفع ... » .

قلت : « كلا ... إن زنتها لا تقل عن طنين »
وقال ابن عمي : « إن أسألك عن السبب في
وقوفها كلما حاولت أن أحملها عن السير فإني أعرف
جوابك ، ولكني أؤكد لك أنني أضع ناقل السرعة
في مكانه بأقصى مايسع إنساناً من الترفق والبطء ...
وإذا كنت تريد أن تعرف رأيي فهو أن السيارة
قد أصابها تلف » .

قلت : « سيصيبها التلف على التحقيق إذا
ظالت تحاول أن تدبر المحرك ثم توقفه ... فستنفد

رجعنا من السويس على عجل - أختي وزوجها
وأنا - وكنا نقضي فيها أياماً فتلقينا نبأ من خادمتنا
القدعة الأمينة « فرحة » بأن ابن عمدة قريبنا قادم
وسينزل علينا ضيفاً إجابة لدعوة قديمة نسيناها ،
فأسرعنا فأقبلنا على الحقائق نحشوها حشواً بلا
عناية بترتيب لنكون في البيت قبل أن يصل .
ومضى ابن عمي - زوج أختي - فجاء بالسيارة .
وكنت قد هضت ساقى قبل ذلك بيوم فلم يبق مفر
من أن يسوق هو السيارة وإن كان لا يحسن ذلك
ولم يتلق فيه إلا بضعه دروس قليلة . وكان الأحجى
أن نستأجر رجلاً لهذا ولكننا كنا نحوص على
ألا يكون معنا غريب يأخذ بوجوده الطريق على
حريتنا في الكلام والضحك والتمسك . وقد غربت
نفسى بأن طريق السويس سهل والحركة فيه قليلة
فلا داعي للخوف . وفي وسعه أن يخطئ كما يشاء
فإن بضيره أو بضيرنا ذلك وإن كان يخشى أن يعطلنا
ويضيع وقتنا .

وجلسنا إلى جانبه وجلست أختي على المقعد
الخلفى وطعأنا أنها بأنى وأنا معه سأكون السائق
الحقيق وأنه لن يفعل إلا ما أمره . ولكننا لم

من الارتفاعات وصار الطريق بعد ذلك سهلاً منبسطة
فشكرناه ؛ ولكن أى شكر يمكن أن يفي بحسن
صنيعه ومروءته .

وجاء السيف ، وكان مساء ، ثم كان صباح .
ولم يكن النهار قد ارتفع ولا كانت الشمس
قد علت لما دخلت على « فرحة » توقظني قبل موعدى
المألوف بساعتين وتخبرني أن أختي تصبح على
وتدعوني إليها في غرفتها . وقد عجبت وحق لي أن
أعجب لما أعرف موجياً لأزعاجي في مثل هذه الساعة
المبكرة - الساعة من فضلك - ومع أختي زوجها
ثما حاجتها الى ... وقد حاولت أن أهمل هذه الدعوة
ولكن « فرحة » أبت أن تغض عني وتدعني أستأنف
النوم فتمطيت وفركت عيني وتساءلت وقلت لها :
« ماذا هناك يا فرحة ؟ ... »

فقلت بالهجة المأدبة المطمئنة وصوتها المنز
النبرات الذي لا أذكر أنه ارتفع عن هذه الطبقة مرة
واحدة في عشرين عاماً قضتها معنا منذ كانت طفلة :
« أظن أن الأمر يستدعي وجودك » .

وفرحة عاقلة ذكية وحريصة دقيقة العبارة ،
وقد رباهما أبى مع أختي وعني بتعليمهما أيضاً وجعل
لها حصص في الوقف الذي وقفه قبيل وفاته ، وكانت
هذه مفاجأة سارة لنا فقد أحببنا فرحة حب الأخت
وكانت هي - وما زالت - ربة البيت . ولنا
نعاملها معاملة الخدم وإنما نعدها واحدة منا : لها
علينا مثل الذي لنا عليها . وحسبك منها أنها
ما أخذت في حياتها معنا أجراً على خدمة ، وأنها
بعد وفاة أبيتنا لم نحاسبنا قط على ربيع حصتها وإن
كننا نودعه البنك باسمها ، فإذا أرادت ثوباً أو خاتماً
أو غير ذلك طلبت ذلك منا كما يمكن أن يطلبه أختي
منى أو من زوجها . فإذا كانت تقول الآن إن

الكهرباء وتحتاج كما أردت إدارة المحرك أن
تنزل وتدير المحرك بالانفيللا ... وقد ينفمك هذا
فيغريك بالتفكير قليلاً » .

فصاح بي : « تظن أنى لم أفكر ... أتتوهم أنى
لا أفكر الآن ... إن رأسي يكاد ينفجر من فرط
التفكير ... » .

فضحكت أختي فصاح بها : « نعم اضحكي ...
أنظري إلى الجانب المضحك ... ولم لا ... قد بطير
عقلي ، ولكن هل يجوز أن يمنحك هذا من
المضحك ؟ »

وداس برجله الزريريد أن يدير المحرك ...
ووقفت السيارة مرات أخرى لا أذكر عددها ،
فما استطعت وأغمض عيني وراح يقول : « لا فائدة ...
قضى الأمر ... وأنا واثق أنه كتب علينا أن نبقى
هنا إلى الأبد ... ومن يدري ... ربما كان في
الطريق مارد في يده سيف مسلول ... والسيارة
تراه وإن كنا نحن لا نبصره ... من المبعث أن
يقاوم الرء القضاء والقدر ... كلا ... لا تشكوا
فاني أوشى أن أنقذ نحي في سلام وبغير ضجة ... »
وفي هذه اللحظة وقفت إلى جانبي سيارة ونزل
منها رجل لم نكند تبصره حتى أيقنا أنه الإنجليزي ،
وحقق هو ظننا فقال لنا بالغة : « هل أستطيع أن
أساعدكم » .

فشرحت له الأمر وعرفته خطبتنا فابتسم وهم
بكلام ، ولكن ابن عمي قال له : « امض عنا ...
اذهب ... وحدك ... إن أمامنا مارد وقد حذر
السيارة من المضي ، ففهمت عنه ... كان صريحاً
جداً فيما قاله لها ... اذهب وأرجو لك السلامة »
فابتسم الرجل ودعا إلى النزول واتخذ مكانه
ومعد بنا إلى رأس التل ، ولم يكتف بذلك بل ظل
معنا - على مسافة منا ... وراءنا - حتى فرغنا

لى غرفة من أجل شخيري . . شخيري . . ليتك
ترين نفسك فى المرأة وأنت نائمة . . إذن رأيت
كيف ترمين اللحاف وتضربين برجلك هنا وبيدك
هناك . . كالأطفال بلا أدنى فرق . . لقد تزوجت
طفلة حين تزوجتك . . تقول شخيري . . مثل
هذا الطمن القبيح على سيدها وتاج رأسها هل يليق
يا فرحة ؟ »

فابتسمت فرحة ولم تقل شيئاً وماذا عساها
تقول وشخيره يزعم الجيران حتى لقد جلا السكان
عن هذا الحى وخربت بيوت أصحاب العمار فيه
وقرت نجة الضحك أخيراً — ولكل شىء
آخر — فقلت : « ماذا كان شرلوك هولمز خليقاً
أن يصنع فى مثل هذه الحالة . . »

فصاح بى ابن عمى : « دع الفاسفة من فضلك . .
الأمرو واضح . . البيت موصد من كل ناحية والمنافذ
كلها مسدودة فالذى أخذ المقد لم يحى من الخارج
وإنما هو ولا شك واحد ممن فى البيت . . »
فصاحنا جميعاً — ما عدا فرحة فأنها مؤدبة —
« برافو . . برافو . . »

فلم يعبأ بنا ومضى يقول : « الجديد علينا هو
ابن العمدة فهو السارق »
فلم نطق بهذا وصحنا به جميعاً — حتى فرحة
وإن كانت مؤدبة —

فلم نهزم وقال وهو يعود إلى الجلوس على الحشية :
« لا بأس . . ولا داعى للصياح . . المسألة بسيطة . .
إذا لم يكن هو اللص فمن عسى أن يكون غيره . . ؟ »
فقلت : « أنت مثلاً . . لم لا . . »

فقهقه ؛ فقلت : « ألا يمكن أن تكون قد
أخذته لتضعه فى مكان أمين ثم نسيت كعادتك ؟ .
إنك هكذا وأنت تعرف ما يكلفنا نسيانك . . قم
انظر أين وضعت العقد . . واذا كر الاسفنجية . .

الأمسى استدعى وجودى فقد صار القيام لا بد منه .
ودخات على أختى وورائى فرحة ، فألفيتها
مستلقية على السرير فى منامة قرمزية مزركشة ،
ومعتمدة بكوعها على وسادة وثيرة مربعة محشوة
بريش النمام ، وخذها على راحتها ، ويسراها على
نخدها ، وبين أصبعيها سيجارة ، وكان منظرها فائناً
فإنها جميلة ممشوقة ؛ وكانت هذه الرقدة تبرز خطوط
جسمها الرشيق وبراعة الانحناءات فيه . وكان
زوجها قاعداً على حشية فوق السجادة فنظرت
منها إليه وقالت : « لا عجب أن تدللها . . لست
بإنسان إذا لم تفعل . . »

فابتسمت مسرورة ، وأدنتنى منها وقبلتنى .
وقالت : « اجلس هنا . . إلى جانبي على السرير . .
وأنت يا فرحة . . قصى عليهم الحكاية . . »
فأراحت فرحة أمامها على شباك السرير ،
وأشارت بيدها الأخرى إلى منضدة صغيرة قريبة
وقالت : « قبل أن أترك الغرفة وضمت يدي عقدها
(وأشارت إلى أختى) على هذه المنضدة ، وفى الصباح
دخات عليها فلم أجده . . وسألها عنه فقالت إنه فى
مكانه ، فذهبت إلى البك (تعنى زوجها فان فرحة
مؤدبة) وسألته فجمل بضحك ويتحسس عنقه ويقول
إنه ليس هنا . . هذه هى الحكاية »

فقلت متملها كلامها : « جئتم بشرلوك هولمز
ليحل اللغز ويهتدى إلى السروق ويضع يده على
الاص . . أشكر لكم هذه الثقة العظيمة »

فقلت أختى وهى تضحك : « العفو . . الواقع
أن كل ما أذكره هو أنى قتت بالليل وغبت عن
الغرفة دقائق وصرت فى عودتى بغرفة هذا الزوج
الصالح ، ولكن شخيره كان عالياً فهربت »

فنهض ابن عمى محتجاً وقال وهو يتمشى :
« شخيري . . هل تريد أن تقولى إنك أفردت

ولا أحتاج أن أقول إننا استقبلنا يومنا مكنثيين
مهمومين محزونين ؛ فأتى للمقد قيمته الذاتية
والمعنوية ، وقد كنا نتكاف المرح ونبدى صفحة
البشر وتناق الأمور بما يشبه الاستخفاف ، لأننا
اعتدنا أن نواجه الأمور على هذا النحو ، وربانا أبوانا
على الجلد وضبط الاحساس . أما أحمد فكان
بطبيعته هزلاً يركب الحياة بالدعابة والباشة
والعيب ، وقد أحبنا وأحببناه وأنس بنا وأنسنا به ،
فماش معنا وآثر بيتنا على بيت أبيه وانتهى الأمر
بما كان لابد أن ينتهي به — أى أن يتزوج أختي —
ولست أعرف أسرة أخرى تعيش هذه المعيشة
السعيدة الرغيدة ، وحسبك أن المسال موفور وأن
الطباع رضية والأمزجة متطابقة

ومن عادة أحمد أن يقضى وهو في الحمام . ولست
أعنى أنه يقضى الأصوات الشائمة ، وإنما أعنى أنه
وهو في الحمام يصف كل ما يعمل ويرفع الصوت
بالغناء بهذا الوصف ، فإذا كنت على مقربة من الحمام
لم يسمعك إلا أن تسمعه يقول — أو يقضى على
الأصح — « أين الاسفنجية ياسيدي ... لا بد أن
تكون هذه الزوجة المهمة قد ضيعتها ... ومن يدري
يا حبيبي ... فلعلها خبأتها عمداً ... آه ياروحى ...
وأي الكبريت ... أظنني نسيته ... هذا خازوق
يا حبيبي ... وكيف أسخن الماء الآن ... يا لعمنة
الله انزلى رأس الذي اخترع التدفئة بالغاز ... آه
يا عيني ... والله وحشة ... نجد الكبريت فلا نجد
القرش الذي نضمه في الثقب لينطلق الغاز ...
ويسخن الماء فلا نجد الاسفنجية ... واجد كل
ذلك وأنا في الحوض ويبدأ الشعور بالراحة وإذا
بالغاز قد فرغ ... وأخذ الماء يبرد ... ويجب أن
أخرج من الحوض لأضع قرشاً آخر في الثقب ...

قبل أن تعترض وتحتج . . قم من فضلك »
وقالت أختي وهي تعتلد في مجاسها : « ياسليم ..
إني لم أخطئ حين أزججتك . . كلا . . وأنا الآن
واثقة أن ابن المم قد نسي أين وضعه . . »
فصاح بها محتجاً : « ولكني ياستي لم أدخل
غرفتك . . ودعتك — أعني قبلتك ولا مؤاخذة
ياسى سليم فإن هذه عادة الأزواج — ثم لم أعد ..
فكيف يمكن أن أكون قد أخذه ؟ »
فقالت وهي تقف : « تذكر ... حاول أن
تذكر ... »

وزدت أنا على قولها : « جرب مرة واحدة
أن تسكف هذا الرأس عملاً ... لا تخف أنت
تتعب ... »

ففضى عنا إلى الباب وهو يقول : « إني ذاهب
إلى الحمام ... »

وهنا ينبغي أن أقول إن المقد الذي غاب مما
ورثناه عن أمي وهو من اللواؤ النفيس ، وكانت
حباته نحو مائتين وأكثرها من الكبار في حجم
الفولة ، وقد رأينا أن نجعل منه عقدين : واحد صغيراً
أعطيناه لفرحة ، وبقي الآخر لأختي ، فقد كانت
إذا لبسته تافه صفوفاً على نحرها الجميل فأثرت
التخفيف . على أن الأمر لا محل فيه للتخمين فقد
قالت فرحة إنها وضعت على المنضدة وفرحة صادقة ،
ثم إن ذاكرتها لا تخونها أو تعابها كما تعاب ابن
عمي — أحمد — ذاكرته . ولم يكن أسخف من
قوله — وإن كان يمزح على عادته — إن ابن العمدة
— حسن — هو الوحيد الذي تتجه إليه التهمة
فإن حسناً هذا من سرارة الناس وهو فوق ذلك من
أقرباء أحمد الأدنين ، وقد ذكرت ذلك لأربك إلى
أى حد يذهب أحمد في مزاحه

أخفته الزوجة الصالحة لأشترى لها عقداً سواه ...
النسوان ملاعين ياروحى ... قالوا العقدا ضاع ...
ضاع فين بالله يا أهل القونطة ... لا ياستى العقدا في
الدولاب ... والغرض مرض ... »

وكان يبدى ويعد في هذه المعاني ؛ فأما حسن
فلم يفهم وكان ينظر منى إلى أختى ، وكان يرانا
نضحك فيشكل الضحك مثلنا ، وأما أختى
فضحكت أولاً ثم لما سمعته يتهمها بأنها خبأت
العقد اتطالبه بحيلة تبهمت فشددت على ذراعيها
فنظرت إلى مبتسمة وهزت رأسها وعاد إلى وجهها
الاشراق ، ولكنها لم يسمعها إلا أن تقول لنا ونحن
نحصى عن الحمام قبل أن يخرج هو علينا « شف ...
ينسى أين وضع العقد ثم يدعى أنى خبأته .. طيب ... »
وقال حسن : « ألا تقولون ما هى الحكاية »
فضحكت وقالت : « الحكاية باختصار أن
أختى لا تجد عقدها ... وأحد يتهمك بسرقة
العقد ... لقد سمعته بأذنك ... والآن أفهمت ؟ »

وكانت هذه صدمة فان معرفة حسن بأحمد
يسيرة ، وإن كان من أقاربه الأدنين ، ولكنه
احتمل هذه الصدمة ، وأسرعنا نحن فمرفناه
بأساليب قريبيه فضحك معنا ، ولكنه مع ذلك صار
يطرق من حين إلى حين كأنما يحدث نفسه بشئ .
وخرج أحمد أخيراً ، ودخل علينا وفي يده
صحيفة يتأملها وينظر إلى الصور التى فيها لما كانت
له عناية بقراءة الصحف ، وجلس إلى المائدة وأدار
عينه فيما عليها ثم سأل : « ماذا أعددت لنا يا امرأة ؟ »
فأعنتمت أختى هذه الفرصة وصاحت به :
« ألا تنتظر حتى يستعد الباقون الأكل ... ماهذه
الشرهة ... ثم كيف تزعم أنى أخفيت العقد
لتشترى لى سواه ؟ »

فقال ببطء : « الجواب على السؤال الأول

وأبحث عن الكبريت ... والكبريت مبلول ...
معلوم ياسيدى ... أو الكبريت فرغ ... طبيعى
أصبح ... ومن يسمع ... ألبس البرنس وأخرج
لأجىء بكبريت ... خازوق آخر يا حبيبي ... لقد
نسيت الفزاز مفتوحاً ... فالحمام كله غاز ...
وسمختنق يا ولد إذا لم تفتح النافذة ... لفتح
ياسيدى وابد ... وروح يا حبيبي من البرد ...
الذى سمى هذا حماماً كان ولا شك ابن حرام ... »
وهكذا إلى غير نهاية ... ومن تحصيل الحاصل
أن أقول إننا اعتدنا أن نقف قرب الحمام كلما دخل
فيه أحمد لنعرف ما يجرى له فيه فنقع على الأرض
من كثرة الضحك . ولا بد أن يحدث له شئ ،
لا يحدث لسواه لأنه كما أسألت سريع النسيان :
ينسى أين وضع الأسفنجية ، وأنه رى الكبريت
في الحوض ، وينسى أنه نسي أن يجيء منه بقروش
ليضعها في الثقب فإنه يبقى في الحوض ساعة
أو ساعتين وهكذا . ولولا أنه نساء لما ابتناه عامدين
لنضحك ولكنه أغناها عن ذلك

وكان حسن قد استيقظ ونهض ليلاحق بنا
وبجلس معنا فلما اعتدنا الحمام واقفين وإن كانت المقاعد
في الدهليز خفياً بيده فأمرنا إليه أن اسكت . ورائنا
نبتسم وأحس من هيئتنا أننا نسمع شئ على أطراف
أصابعه ووقف معنا يصفى أيضاً وكان أحمد يقول :
« قالوا العقد ضاع ... قال ضاع ... كلام فارغ
يا حبيبي ... والله ما أخذه إلا هذا الحرامى الذى
نزل في ضيافتنا ... بالطبع سرقة ... في عمر أمه
ما رأته مثله ... الأقارب عقارب ياسيدى ... ضاع
العقد ياستى ... أنا السكين يا حبيبتى ... هات لى
عقد غيره ياسيدى ... طبعاً يا ماما ... من يدري ...
امل العقد لم يضع ... أبوه ياسيدى ... لم يضع ...
الأرجح ... والمقول أن يكون في الدولاب ... »

أعلم من أول الأمر أن لا فائدة . . . قالت لكم مائة مرة إن هذه الزوجة تعرف أين يوجد العقد . . . نعم هي خبائه »

فصاحت به : « ألا يمكن أن تسكت . . . » فقال : « أسكت ! وكيف نحملينا كل هذه المشاق من أجل خرزات ؟ . . . »

ولم يتمها فقد هجنا به احتجاجاً على وصف حبات اللؤلؤ بأنها خرزات

ولما قرأت الضجة قالت أختي : « اسمعوا . . . إني لم أعد أطيق البقاء هذا النهار في البيت فلنذهب إلى أي مكان آخر ولننغد هناك . . . »

وكان هذا اقتراحاً حسناً ، فإن بقاءنا في البيت كان خليقاً بأن يفرينا باستئناف البحث مرة أخرى فنشقي على غير جدوى . فمن الخير أن نخرج وأن نقضي النهار في مكان آخر ثم نعود . . . ومن يدرى فقد نجد العقد تحت عيوننا حين نعود كما يحدث كثيراً . وما زلت أذكر كيف كنت مرة أبحث عن قلبي وكانت أختي ممي ، فلما تعبنا جالسنا على السكرامى وهممت بأن أخرج سيجارة ، وإذا بالقلم بين أصابعي . . . ومن الغريب أن أختي لم تره في يدي كما لم أره . . . وقد ذكرت أختي بهذه الحكاية أو الحادثة وفي مرجوى أن أبحث في نفسها الأمل فلا نقضي النهار يائسة مكتئبة في سرها وإن كانت تشجع وتتجلىد ولا تبدي حزناً

وقمت إلى حماتي على حين راح غيري يلبس الثياب استعداداً للخروج . وكان طبيعياً أن يفرغوا من شأنهم قبلي ، وأن يستبطئوني قلبي في حركة دائمة في الحمام وهم لا يصنعون شيئاً بعد أن لبسوا الثياب ووقفوا ينتظرون ، وليس أشد على المضطرب القلب من الانتظار . فأقبلوا على باب الحمام يدقون عليه بأيديهم وينقرون بأصابعهم ويدعونني أن أصرع ،

بالنفي . . . النفي البات . . . أما الشطر الثاني من السؤال فأوان الرد عليه يكون بعد الأكل ، فانه يحتاج إلى عقل ، والعقل يذهب به الجوع »

فصاحت به : « ولكن كيف نجرؤ ؟ . . . » فقال بهدوء : « من الغريب أني جئت هنا لا أكل لأنكم . . . نعم الأكل أولاً يا امرأة » فقالت : « هل عذبت بالبحث في ثيابك ؟ . . . بالطبع لم نعم . . . »

فالتفت إلى حسن وقال : « شف يا حسن . . . شف . . . احذر يا بني أن تزوج . . . لا عذر لك وقد رأيت بعينك ما تصنع الزوجات ببعوثهن » فقال حسن : « أظن أني سأزوج . . . وعلى فكرة كيف تسمح لنفسك أن تهمني بالسرقة ؟ » فرفع أحمد يديه إلى السماء ثم التفت إلى حسن وقال : « وأنت أيضاً . . . لم يبق لي عيش في هذا البيت . . . فلأرحل » ونهض وقال : « يا امرأة إني في المكتب »

لم ندع مكاناً في البيت إلا بحثنا فيه ، ولا ثوبا في خزانة أحمد إلا نفضناه وقلبنا جيوبه — حتى السجاريب رفعناها ونظرنا تحتها . . . حتى الستائر نحيناها وأجلنا عيوننا فيها وراءها وفيها أيضاً نخافة أن يكون حبل العقد قد علق بشئ منها . فلم نجد لا عقداً ولا حبة من عقد فيسئنا وحل الا كتاب محل البشر ، فقد كنا إلى ما قبل ذلك نعتقد أن العقد موجود في مكان ما ولكن أعيننا لا تراه . وقد أعدنا البحث مرة وأخرى لظننا أو توهمنا أننا نخطئناه بعيوننا ونحن نديرها كما هي العادة في حالة الاضطراب . ولم يكن أحمد بمفينا من مزاحه في خلال هذا البحث المتعب ، فلما كففتنا قال وهو يضطجع ويشمل سيجارته : « لا فائدة . . . لقد كنت

وكان الركوب يحوجني أن أحمل ساق بيدي لأن تنهيا كان يؤلمني في موضع الركبة ، فجلست على المقعد ووجهي الى الباب وملت على ساقى وهى ممدودة لأحماها وأدور بها وأدخلها في السيارة ثم ارتددت ضاحكا ، فسألتنى أختى عن الخبر فقال لها زوجها : « دعيه .. إنه يحلم .. لا يزال ناعما .. لاشك أن الحلم للبدن ... ألا ترين ... أعنى ألا تسمعين ... »

فمسحت أولا الدموع التي ترقرقت في عيني من فرط الضحك ، ثم مسحت بطنى التي سارت توجعني ... ثم تهديت وقلت : « آخ ... مسألة ظريفة جدا ... »

فقلت أختى : « ولكن ما هى الحكاية ... أظن أن من اللائق أن نقف ساعة أمام الباب ؟ » قلت : « أظن أن الواجب أن ندخل .. نعود الى البيت دقائق قبل أن نخرج الى رحلتنا ... » فنهضت أختى عن مقعدها قليلاً وزحفت الى الأمام مقدار شبر ، ووضعت كفها البضة على كتفى وقالت : « لا تعذبني ... انطق »

قلت : « لا حاجة بي الى الكلام ... خذى » وانحنيت فأخرجت المقعد المفقود من طية البنطلون عند حرفته ورفعته الى عينيها وقالت : « لقد كنت أظن أن ساقى اليوم أسوأ مما كانت أمس لأنى أحسها أثقل ... فالآن عرفت السبب ولكنى لا أعرف كيف سقط المقعد في طية البنطلون ... »

ولا أزال الى الآن أجهل كيف أمكن أن يحدث هذا ، وإنما الذى أعرفه أن أختى فرحت وأن ابن عمى حاول أن يركبني بعينه المألوف ، فوضعت كفها على فمه فقبل أصابعها ثم عضها فصرخت فقال : « هذا جزء من يدافع عن السراق واللصوص والخنوة »

إبراهيم عبد القادر المازني

وكان أحمد يتخذ من باب الحمام طيلة وأخيراً خرجت قائماً يمكن أن تكون المستنعم راحة أو لذة وعلى بابيه من يصيحون به ويسمعونه ما يكره ، فلحقوا بي في غرفتي ، ولكنى أخرجتهم منها بجهد ، فأتى مستعد أن أحتمل كل شيء إلا أن يحيط بي هؤلاء الصائحون الصاخبون وأنا ألبس على أنى أسرع وبجئت لأتقى شر هجومهم على كرة أخرى ، وكانت ساقى لا تزال أحسها ثقيلة مما أصابها في السويس وهاضها وإن كانت لا تؤلمني ، فلما صرت اليهم في الردهة وقفت هنيئة أدعكها لأبينها فسألتنى أختى : « ألا تزال تؤلمك ؟ »

فقلت : « كلا ، لا ألم ولكنى أحسها ثقيلة » فقال ابن عمى : « كلاك ثقيل يا أختى .. تعال » فقلت : « ولكنى حقيقة أشعر أنها أثقل مما كانت أمس »

فقلت أختى : « طبيعى هذا من الجهد الذى تكلفته اليوم في البحث »

فاقتنعت ونزلنا الى الباب ، وكان ابن عمى قد جاء بالسيارة قبل ذلك وتركها أمام الباب ، فجلست أختى ومعهما حسن على المقعد الخلفى ، واتخذ أحمد مكان القيادة ، وقالت له وأنا أفتح الباب الآخر لأجلس الى جانبه : « لعل درس الأمس نفعلك ، فلا تكرر أخطائك المعادة »

فزام أولاً ثم قال : « ولكن إذا كنتم تريدون أن أشرفكم بتولى القيادة العامة ، أفلا يحسن أن أعرف الى أين يراد منى أن أحملكم ؟ »

فقلت أختى : « أوه ... الى أى مكان ... الى القناطر الخيرية إذا شئت ... أو الى حديقة الأورمان ... أو ... أى مكان تحب »

قال حسن : « الى القناطر إذن ... اركب يا هذا أم تريد أن أنزل وأحملك ؟ »

ماتاليا

اقصصة انجليزية

بقلم الأديب أحمد عبد العظيم شحاته

— ألا ترى يا صديق

الغيوم فوقنا تتلبد ؟ ...

ثم السماء هي الأخرى

توشك أن تتأججنا ...

أليس الرأي عندك أن

تؤوب ؟ ...

وظل الربان في موقفه

يتطلع إلى زميله وهو

مطارق ذاهل حتى رفع

رأسه من بين كفيه في

تؤدة وعناء ، وطفق يرقى ببصره الزائع إلى السماء

رويداً رويداً ، ثم ما لبث أن استرده وقد انتشر

على شفثيه بسمة طفيفة ساخرة وهو يلقى جوابه

الوجيز :

لا . لا إخالها تفعل ...

ثم عمد إلى راحتيه فأسلم إليهما رأسه المكدود

وعاد السكون الحاد فالتأم فوق رأسهما من جديد ...

لم يكن توني ملاحاً خبيراً ، وكنت أحنو عليه

حنو الاخوة لأب أمي — أعزها الله وأكرم

مثنواها — حملته إلى مقرنا ووضعته بيننا رضيعاً

يتيماً فارقه أبواه وخلفاء وحيداً ، فدب معنا وجرى

مجراناً حتى إذا ما بلغ مبلغ الرجل فتش عن ذويه

فما وجد لهم أثراً ولا لنفسه مؤثلاً غير مؤثلاً ، فارتضى

عشرتنا واطمأن إلى جوارنا ... وكنت في هذه

اللائناء يافماً حلوا القسمات أملس الشعر فاحمه ، رحيب

ما بين المنكبين مستوى العود فارعه ، وكان توني على

نقيض ضاوياً نحياً مكشفاً اللون لا يفيق قط من

أحزانه ، سموناً أبداً من غير سبب أو علة ظاهرة ...

يكبد بدنه وبفسلو — متلذذاً مرثاها — في تمنينه

وتجشيمه صنوف التمذيب والارهاق ...

... لو أنك ترفقت قليلاً في سيرك ، ولم تك

مسرع الخطو وأنت تطوى حافة الميناء منذ عشرة

أحوال قضت للمحظت زورقاً فضى اللون جذاباً

بمتمله النهر — في خمة الليل — فوق صدره الناثر

المرتجف ، وقد توارى من صفع الرياح القاسية في

ناحية قاسية خاف سد منيع قائم بين الأمواج ...

فاذا ما الفجر انبثق وجرى نسيمه الوافي

الرقيق ، انفتحت الزورق من قيده وداف إلى عرض

النهر هادئاً وادعاً ينساب كالشعبان ... بغمرة سحر

الفجر وجلاله ويلفه صمت رهيب متصل ... وفي

سويحات الظهيرة ، وقد اتمرت عين السماء وعم

الضجيج ودبت الحركة ... هنالك يتراعى من وراء

الأفق البعيد شراعه الناصع الرقيق مقبلاً بهادى

في فتور وعناء ، وقد أنقض ظهر الزورق الرشيق

أكوام السمك القاعمة ذات البريق ...

وتوقف الربان فوق رأس الزورق بين الأمواج

الوادعة ذات صباح منصوب الصدر صر فوع الهامة

يرنو إلى السماء ويجميل عينيه في أنحائها برهة موجزة

لا ينشب بعدها أن يتحول عنها قائلاً لرفيقه المطرق

الكثيب :

وكنت لا أملك وإياه من متاع الدنيا شيئاً غير
هذا الزورق الذى يسمى كل يوم مع الشمس ،
وحانوت شئيل حرج يبيع به السمك الذى نصيد ..
وكن لم يمد يوماً غرفتين باردتين عاريتين تقومان
خلف الحانوت بقال ..

وأحسست يوماً أن صدرى يضيق وأن قلبى
ينقبض ، فمشيت إلى الفضاء الواسع الذى يحاصر
مساكننا الشمس الراحة والهدوء ، غير أننى ما كدت
أنتقل فيه بمض الخطى حتى أظلم السكون فى عيني
وأحسست أن الأرض تميد تحت قدمي .. وبدرت
منى حينئذ صرخة دوى بها الفضاء .. وألقيت
بيصرى إلى الأرض فى لهفة وسرعة ، فاذا الدم
يتصبب من قدمي حاراً غزيراً .

لقد قيل لى يومئذ إن مسماراً حاداً منتصباً ،
هو الذى وطئته قدمك شبه العارية ، فكان هذا
الدم القانى الذى روعك ... ولكننى فى الواقع
لم آبه لشيء مما وقع إلا عند ما أبصرت القبيح يوماً
بطوق فوهة الجرح من كل جانب ... عندئذ
تسرب الى الخوف ، ولم أجد إذ ذاك بداً من أن
أهرع إلى المستشفى ... وهناك فى طريقى بدا لى
طيف صديقى وحيداً صامتاً ينهض بأعباء عملينا
الناسية المضنية والعرق يتفصد من بدنه الناحل
الهزبل ... لقد أخذتنى الشفقة به فأنحيت عليه
أوصيه أن يترفق بنفسه وأن يشرك معه من يقوم
مقامى حتى تحين أوبى ..

وانصرفت أسابيع قلائل أنفقتها جميعاً تحت
سقف المستشفى حتى اندملت قدمي وقاربت
الشفاء ؛ عندئذ رأيت أن أفارق محبسى فشخصت
إلى مقرنا من غير أن أعلم صديقى ... وأدركت

بابنا الصغير فألقيت يدي على مقبضه ، ولكننى
دفعت دفعاً هيناً رقيقاً حتى لا يسمعى صديقى ...
كنت أبهى أن أجاه إلا أننى ما كدت أخطو أول
خطوة حتى وقع بصرى على فتاة رقيقة فائسة
ما كادت ألمحنى فى مكانى حتى بادرت إلى قائلة
فى لطف ودعة : هأنذا ياسيدى .. أستطيع أن
أقضى لك حاجة ؟

عرانى وجوم شديد وتولتى وقتئذ الحيرة ،
فممدت لى لسانى استعجته واستنهض همته فغذاني
الثرثار ولم ينبس بغير هذه الكلمات القليلة التى
بها من مكانه ، ثم عاوده جموده وتصلبه : نعم ..
خدمات كثيرة يا آنسة ... وما كدت أفرغ من
إلقائها حتى رن بفتة من وراء الحجرات صوت رخيم
بدد السكون الخيم وملاً أذنى كما ملاً جو الغرفة ..
وتبينت هذا الصوت جيداً فاذا به ... يا عجباً ..
إنه صوت تونى ! تونى بفتى ... تونى السكايب
المنقبض ... تلك لعمري إحدى المعجزات ..

وهفت نفسي إلى رؤية هذا المنظر المعجيب
ودرت على عقبي أحاول المدو إليه قبل أن يرتد
إليه حزنه ، إلا أننى والحق أقول ألقيت نفسي عاجزاً
وأطرافى جامدة لا تقبل الحركة ، وأحسست رغبة
وجنوحاً قوياً للبقاء ، فلبثت فى مكانى أجيل عيني
فى قوائم الساحر المشوق .. فى خديها الناعمين ..
فى فمها القرمزى اللدقيق .. فى ساقها المتاننتين ..
فى ...

— سيدى ما حاجتك ؟

ووجدت لسانى قفط : ولكن خبرينى أينها
الآنسة الصغيرة ماذا تفعلين هنا ؟
فأجابتنى وقد غطى الدهش صفحة وجهها الجميل :

— إننى أبيعك ... أنت أو غيرك من هذا السمك ... أنا ماريا ، أما أنت فأجهلك ويخيفنى منك صمتك ونظراتك ..

— واسكن هيبنى كتمتك حقيقة أمرى فهزت كتفها الصغيرين ومدت شفها الدقيقة قائلة :

— وماذا يضيرنى يا سيدى ؟ بل لبتك تفعل قالت ذلك وأخذت سيدها إلى بعض الآنية تتناولها واحدة فواحدة وتنفض الغبار عنها ثم تردّها إلى مواضعها ، ووقفت أما أرقبها عن كتب . كانت رائحة ساحرة ... وجسدها ناعماً مغرياً يشف عنه ثوبها الحريرى المبهوك ... وسفحت فى رأسي فسكرة : لا بد أن تكون هذه غانية أنى بها صديق لثامو معه . وكان السكون حولنا صريراً والأبواب كلها مؤسدة . بدت أطرافى واشتدت ضربات قلبي والتهبت رأسي ثم شبت النار فى كياني وما أسرع شوبها فى كياني الملاح :

دثوت منها وجسمى يضطرب اضطراباً شديداً فارتدت إلى الوراء مذعورة ، وكادت تولينى ظهرها فاحتوتها ذراعى الممدودتين وتلقاها صدرى اللهب ... وعالجت القرار ولكننى استبقيتها ؛ ولم أشعر إذ ذاك بذراعى وهى تنساب منى وتطوق جسمها اللين الدافئ ، وتنضمه إلى وهى تدفعنى عنها دهشة خائفة : سيدى ما هذا ؟ .. قف .. تمهل .. إننى لست عرضة للبيع سيدى ... — ولكننى لم أسمع أقولها بل حدثت فى عينيها الصافيتين الخائفتين وشعرها الباهر على محياها الوضى ... لقد طار عنى صوابى وتلاشى السكون من أمام عيني فأهويت بفعى على ثغرها — كالجنون — أغمره بالقبل وانشق

أنفاسها الدفيئة العذاب ... واضطرب جسمنا الملتصقان وانتبهت مذعوراً عند ما اخترق أذنى صوت من أقصى الغرفة ...

لم ألك أقدر أن نالنا معنا يشهد كل ما جرى منا .. كان جامداً كالتماثيل يتصبب منه الغم والألم ، ولم أدر لم كان بصوب إلينا هذا النظر المروع المخيف . وأخذ يتقدم يحوى متكفلاً السرور وهتف فى صوت متهدج تلوح فيه رنة الآسى العميق :

— هانت ذا أخيراً يا جيم ! كيف أجذك الآن ؟ كيف حال قدمك ؟ ولكنك لم تنبئنى بموعد قدومك إنه جيم يا ماريا صديق وشريكى

وأمسك عن الكلام هنيئة وطفق يمسح جبينه بيده ويقبض على فكيه ، ثم عاد ينظر إلى مستأنفاً قوله : (صديقى .. أريدك وحيداً .. فى مكان خلى أريد أن ألقى إليك سرّاً)

وأمسك بذراعى وكان طبيعياً ألا أحجم أو امتنع عليه ، فاستسلمت له وأنحدنا إلى الطريق ومضينا فيها جنباً إلى جنب صامتين واجبين لأحدثه ولا يتحدثنى ..

وقف تولى عن المسير فجأة ، فالتفت إليه فابتدرنى ضارعاً مستعطفاً :

— أأنت تعلم يا صديقى أننى قضيت العمر حزينا كاسف البال موجه القاب : حتى قبض الله لى ماريا ؟ كم أحبها بصديقى ... لقد بعثت فى الحياة .. بددت عنى الهموم . تصور أننى أصبحت كافاً بالغناء ! دعها لى يربك ولا تصرفها عنى ... إنك جميل ؛ وإن شئت سنى إليك كل النساء ؛ أما أما نخلق سنى ووجهى دمىم ، لأفوز إلا بسخرهن لقد مست كلماته منى موضع الألم فأقبأت عليه

— عفواً يا توتى ! إننى ما قصدت إلى إبدائك

قط ولكن ...

— ولكن هيا بنا ولنفس ما قد صاف

السكنى كنت على يقين من أن توتى لن يغيب

عنه مما مضى شيء ... وانطلقنا عائدين وسبقنى هو

إلى الدخول فتناقشت إليه مارياً ثم أنشأت تضحك

مله شديداً وتقول : « توتى ... إنك تبدو مضحكا

للغاية » ونظرت إليه فإذا لونه براد انتقاعاً ... هى

إذن لا تنضم له الحب ... فلو كانت تفعل ما سخرت

منه ولا اتخذت شفيعه الغايظين الداميين هزواً ...

كانت اطمة أخرى عنيفة تلقاها البائس ومضى على

وجهه حتى داراه باب الخدع ، وأثقت أنا فى مكافئ

وقد رأيت رأياً خائنه كفيلاً بأن يرد إليها هناً ما

المفقود ... لم أكن متماسكا بل أحسست كأن ماء

بارداً يجري فى عروقى عندما ناديتها فدنست منى

تسألنى فى صوت لين رقيق عما أطلب ؛ بيد أننى

أخذت أقص عليها كل ما دار بينى وبين صديقى وهى

تنصت لى والابتسامة على ثغرها تدسع شيئاً فشيئاً ،

حتى إذا ما فرغت من حديثى أطلقت ضحكة خافتة :

— إننى لست فتاته ولا فتاة غيره يا سيدى .

وهب اننى سأعشق يوماً فتى أن من أعشقه سيكون

رجلاً قوياً لا شبيهاً هزلاً . وكان طبيعياً أن يخلص

إلى الزهو فأعجب بقوتى وبنيتى ولسكنى تأهبت

لأنبئها بما انعمت عليه بى

مارياً ... لقد ارفض عنى الألم وأصبحت على

النهوض بممل قادراً ، فخير لنا ولك أن تطرق عملاً

غير هذا :

كان السكياتي عليها وقع شديد فلبثت على

أثرها مهوأة شاخصة ، ثم اندفعت نحوى

أحاول الترقية عنه :

— كم أنت طيب القلب يا توتى ... إن مارياً

هذه ليست لى ولا لك ... سألنى عن هذا الضرب

من بنات حواء ... إنها امرأة الجميع ...

ماكدت أتم كلتى هذه حتى فوجئت بالسكة

قوية قاسية أطارت سوابى وطوحت رأسى إلى

الوراء ، وكدت أسقط على أثرها لولا أن عمالكت

قليلاً وفتحت عيني دهشاً متعجباً فألفيت صديق

يرغى ويزيد ويتأهب للسكى ثانية ، فأسرعت إلى

وجهى أغطى صفحته بقبضتى وما خطر لى حينئذ

أن الظلمة لعلنى أن السكة من يدي قد تؤدي به إلى

التهاككة ، فصحت به وأنا أراجع إلى الوراء أن

كف يا توتى ولا تسكن غيباً ، ولكن قبضته

خلصت إلى واستقرت فى بطنى ..

لقد صورت لى شدة الألم أن جسمى قد ارتفع

عن وجه الأرض فهجمت عليه من غير وعى

وضربته ضربة دار على أثرها ثم هوى بجسمه الضئيل

تحت قدمى

وتهافت الناس مسرعين من كل حدب

وانحنبت بقامتى الديدة على صديقى الممدد المربع

واحتملته بين ذراعى كالطفل ومضيت به إلى صيدانية

قريبة ... وسألنى الصيدلانى وهو بهرول مسرعاً

من وراء قواريره وزجاجاته : « ماذا حدث .. ماذا

جرى له ؟ » ولسكنى لم أستطع جوابه فقد كان حاقى

جافاً وكنت فى شغل عنه أصلى من أجل صديقى

وأضرع إلى الله أن يفتح توتى عينيه وأن أرى الحياة

تسرى فى كيانه ... وحقق الله رجائى عندما قرب

الصيدلانى يده حامله إلى أنف صديقى زجاجة صغيرة

فاهتز رأسه ثم فتح عينيه الوادعتين برفق فقالت له :

وأمسكت بذراعى قائلة :

— حِمِّ ... أبطاوعك فؤادك أن تحرم فتاة
مثل رزقها ! لقد قضيت وقتاً طويلاً مشردة
ساعبة حتى وفقت إليه ... ربك لا تذرنى أرحل
وشرعت تبكى وتنتحب ؛ ولم أك فى حياتى
قد شهدت امرأة بين يدى تبكى فلا محجب إن بدا
منى الضعف والخور حبال دمها المذرار ...

مضت الأيام مضياً بطيئاً ثقيلًا ، ومضى كل
منا يعمل عمله فى صمت وهدهود ، وأخذ تونى
منذ ذلك اليوم يتجنب لقاء ماريا ، وأخذت أغشى
مهما قاعات اللوح كلما هوى قرص الشمس وأظلمنا
الديج .

وانبثق نور الفجر ذات يوم فولبنا وجهيها
شطر الميناء ... ووقفت فوق صدر الزورق منفرج
الساقين منقبض الصدر يتملكنى شعور مبهم ثقيل ،
وتحدثنى نفسى بشر مستطير ... كان الضباب أمام
أبصارنا منه قد كثيفاً ، والزورق من تحت أقدامنا
قائماً مضطرباً يتقاذفه الوج الثائر المصطخب ، والريح
تملأ الفضاء زفيراً خفيفاً مزعجاً ، وطففت ببعضى
أبحث عن تونى فألقيته فى قاع الزورق يحدجنى
بنطرات مفزعة ويعمرر يده رفق فوق خنجره ،
فاشتد رعبى وانفجرت صارخاً بين هدير الأمواج
وزفير الريح :

تونى لا بد لنا من المودة ... هيا اطلو
الشباك .

وامتثل تونى على الفور وطفق يجذبها فى ثودة
ويكدها تحت قدميه وهو ثابت هادى وجملت
أرقب فراغه بلهفة وشوق حتى أسرع بتوجيه
الزورق صوب الجنوب ، ولكنه ما كاد يأتى على

آخر الشباك حتى أحسست أن قلبى قد فارق موضعه
وانقضضت عليه أحاول القبض على ذراعيه :

— تونى لا تفعل ... رد الشباك ثانية ولا ترفعها .
أنظر إن بها (القاتمة) ! إنها فآل بيء ، سيهلك
ولا رب أحداً يا صديق .

لكنه وكأنه لم يفرقه قولى ظل يضم الشبكة
إليه والسمكة الرهيبة تدنو منا شيئاً فشيئاً .

— تونى ... لا تكن نرّقا ... ستجر علينا
الكوارث ... ستسوق إلينا الويلات .

أصم تونى أذنيه وتركبى فى مكانى ، وانطلق
مسرعاً نحو كومة الحراب فاستل منها واحدة وعاد
فصوبها الى السمكة الهائلة ، فلما أصابها شدها بجبل
غليظ الى الزورق وتركها تتخبط وتتماص وتغرب
الماء تريد النجاة ...

وقصدت السكان مستسلماً ونظرى لا يفارق تونى
وهو يلوح بخطاف غليظ فى يده حتى بلغ مرتبط
السمكة فأخذ يربطها به ... وارتفعت أمامنا فى هذه
اللحظة جبال من الموج هائلة فانصرفت عيني الى
الزورق وعندما تالت الى الوراء جمد الدم فى عروقى ...
كان تونى على قيد أقدام منى بشع الهيئة مخيف
المنظر يهقهقه والخطاف فى يده يضطرب :

— تونى ماذا جرى لك ؟ ... وصحت مرتاعاً :
تونى هل جنت ؟

فأجابنى فى صوت مخننق مرتعش كخشخشة
الوقى :

— أجل ... أجل ... منذ شهر ثلاثه والنار
تأكل منى ... وأنت قرير العين بخاريا .

كان صوته يقرع أذنى كالطبول تغليت السكان
ورحت أراجع وهو يلحق بى حتى ارتطمت

قدى بحافة الزورق .

— تونى ... كيف أقسم لك أنى ما كنت أشعر
بأنك تتمتع بـ .

وجف حلقى وأخذ العرق يتصبب من جبينى
برغم برد الشتاء : — أريد قتلى ؟ ...

— ليقنى أقوى ... سأموت ممك ... سيطوبنا
اليم ... سنصعد الى أمان فى السماء .

وحانت منى التفتاة الى النهر فصرخت فيه
مذعوراً :

— تونى ... انتبه ... حاذر .

ولكن كان الجبل قد التف حول ساقه فانزعه
(الوحش القاتم) وحمله معه الى اليم وهو ينظر الى
مستغيثاً تمتد منه اليدان ...

«وارحمته له !» قلما وهو يغيب بين الأمواج .
«دعه يهلك ... لن يلومك أحد ... لقد أراد
لك الموت ... فإياك جزاءه» .

وسكنت الريح قليلاً فشعرت أن هاتفاً يهتف
باسمى بصوت كأنما ينحدر من علياء السماء ... لقد
خيل إلى أن أى تطل من بين السحب وتصبح به :
ولدى ... ولدى ... أنقذ أخاك .

وابتدرت المياه مسرعاً ومضيت أشقها بذراعى
ومى تنهس جسمى شهشاً حتى رأيت صدق بين
معترك الأمواج يتخبط ويتشبث فاندفعت نحوه
صائحاً : «تونى ... تونى ... لا ترحل ... إبنى آت»
وطففت أسبح وأرد الموج عنى وألطمه بكلتا يدي
ولكن ... دون جدوى ! كان تونى قد ذهب ...
كانت ماريا واقفة لدى الباب عند ما طرقت
بقدى ، فلما أبصرتنى وحيداً مشعث الرأس مبهياً
سألتنى وقد انتقع لونها : أين تونى ؟

— لقد ألهمه اليم ...

وارتميت على مقعد قريب ثم انفجرت باكياً ...
وإنى لكذلك إذ شعرت بيد ترت على كفى ،
فرفعت وجهى فاذا بها قابعة فوق رأى يفتر نقرها
عن ابتسامة بغيضة ... لقد بدالى وجهها حينذاك
بشماً منكراً .

وتار فى صدرى الغيظ والمقت الشديد فصاحت
بها :

— هيا اخرجى من يبنى ... لا أطيق أن أراك
بعد الآن ... إبنى أكرهك .

— جـم ...

— هيا قبل أن أحطم رأسك بهذا المقعد ...
وعدت أدراجى الى الطريق وجمعت أهيم على
وجهى ذاهلاً مشرد العقل والساعات تتدفق على فلم
أفنى حتى كان الليل قد ولى مدبراً وصدر النهار
يملو رويداً رويداً ...

يوم جديد ... وأمسكت بين أهداب عيني
دعماً مترققة ... أين أنت يا تونى ؟ ... فى غور
الماء وحيداً ممدداً بين الصخور يخيم عليه الهدوء
والصمت كمادته ... أحمد عبد العظيم شحات

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوتة الألمانية

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد محمد الزيات

وهي قصة عالمية تمد بحق من آثار الفن الخالد
ونمها ١٥ قرشاً

المرأة الشاعرة

Imaginative Woman

للقصصى الانجليزى توماس هاررى

بقلم الأديب نظمى خليل

للشعر حُسن ، بل وللحياة
أيضاً . فكانت إذا ما خلعت
إلى نفسها تفكر فى ذلك
الزوج وفى ثروته الطائلة ،
وفى قيمة هذه الثروة لها .
وكانت فى كل مرة تعود بمد
ذلك التفكير الطويل بالألم
والاشفاق على هذا الزوج
الذى لم يعرف قط ذلك الجو
الشعرى الجميل ، جو

المواطن والخيال الذى كانت تطلق فيه مشاعرها
المكبوتة وأحلامها العذبة تخلق فى ساعات خلوتها
وهدهوها

سار الزوجان حتى أتيا منزلاً صغيراً يشرف
على البحر ، وقد أحيط بمحديقة شجراء فينانة ؛
فاستقباهما صاحبة المنزل وأخذت تحدثهما عن
ظروفها السيئة وعن موت زوجها المفاجئ ، وعن
وسائل الراحة التى تمدها الكل من يقيم فى منزلها .
فأعجبت مرس مارشمل بالمنزل ، ولكنها أرادت استئجار
كل الغرف ، فخاب أمل المرأة فى كسب هؤلاء
الضيوف ، إذ كان هناك غرفتان يشتههما شاب
رقيق الجانب طيب القلب كريم الخلق لا تود أن
يتركهما ، ولكنها تمتعت قائلة : لا بأس ، ربما يخل
اسكاهاتين الغرفتين بضعة أسابيع . وقبل أن يفرغ
الضيوفان من تناول الشاي أخبرتهما السيدة أن
صاحبها الشاب قد رضى أن يخلى لهما الغرفتين مدة
ثلاثة أسابيع . فقال السيد مارشمل :

« إنه شاب كريم حقاً ، ولكننا لا نريد أن
نزعجه فى مسكنه »

انتهى « ولهم مارشمل » من البحث عن
مسكنه الصيفى فى إقليم « سوانتس » فى جنوب
« ويسكس » ثم عاد إلى الفندق حيث كانت زوجته
وأطفاله فى انتظاره بعد أن قضوا سحابة اليوم فى
الهدو واللعب . وكانت الأم منصرفه إلى قراءة الشعر
كمادتها ، فلم تكدر تراه حتى ألقت بالكتاب جانباً
وأفاقت من ذلك الحلم الجميل الذى كانت غارقة فيه
وقالت : إني أود أن تكون قد وفتت هذه المرة إلى
منزل ملائم فقد ضقت ذرعاً من طول مكثنا فى هذا
الفندق . فأجابه زوجها : إن المدينة مزدحمة والغرف
ضيقة وأخشى ألا نجد فيها ما نريد . هل لك أن
تصحبينى إلى ذلك المنزل الذى رأيته اليوم ؟ ثم خرجا
مما تاركين أطفالهما الثلاثة فى رعاية المربية

لقد كان هذان الزوجان مختلفين فى الزواج
والشرب ، فقد قضى الزوج حياته فى صناعة الأسلحة
ونشأ فى جو صناعى بحت ، بعيداً عن جو العاطفة
والخيال الذى عاشت فيه زوجته الشاعرة ، فلم يكن
غريباً من امرأة رقيقة خيالية مثل « إلا » أن ترمح
إلى أعمال رجل مثل « مارشمل » . إنها ليست عدوة

في ذلك الجو المكتئب المكفهر الذي أصبحت
تشم فيه أنها آلة للنسل وأداة للتسلية

وتشاء الظروف أن يقترن اسم هذه السيدة
باسم هذا الشاعر الشاب في إحدى المجلات الكبرى
عقب فاجمة مؤلة اهترت لها عواطفها الشاعرة
فأوحت إليهما في وقت واحد بقصيدتين متحدثتين
في الروح والماطقة كأنهما فاضتان نبع واحد، حتى
أن مدير المجلة قد نشرهما في صفحة واحدة متمجبا
لذلك الاتفاق الغريب

ومنذ ذلك الوقت أخذت «إلا» أو «جون
إيني» كما كانت تسمى نفسها تهتم بكل ما ينشر في
الصحف بأعضاء روبرت ترو. لقد اتخذت ذلك
الامم لترضى رغبة كامنة في نفسها، وحتى لا يرتاب
الناس في صدق إيماءاتها إذا علموا أن هذه
المواطن الجياشة والشاعر القوية تفيض من قلب
امرأة عادية هي زوج لأحد تجار الأسلحة وأم
ثلاثة أطفال.

أما أشعار روبرت ترو فلم تكن تحمل طابع
الشعر الحديث، بل كانت فرجة نقاب مكوم بأنس
قد ضاق بالحياة أو ضاقت هي به فلم يمد يدها فيها بين
أخس الطيائع البشرية وبين أرقاها. فكانت تلك
السيدة إذا ما قرأت أشعاره تشر بخيبة أليمة تحز
في نفسها لأنها لا تستطيع أن تحاق في ذلك الجو
الساى الذى يضرب فيه بجناحيه القويين.

ثم مضت بضعة أشهر نشر خلالها روبرت أول
دواوينه الشعرية فكان باصورة طيبة استقبلاها
الشمع بشيء من التقدير مكنه من أن يكسب
نفقات الطبع، فأغرى هذا النجاح المتواضع
جون إيني على أن تجمع مقطوعاتها الشعرية المتناثرة
في كتاب واحد مؤملة في أن تصادف بعض ما ظفر

فأجابته صاحبة المنزل قائلة: لا إزعاج ولا إقلاق
فهو شاب غريب الأطوار تراه دائماً حالماً مطرفاً
حزبناً يحب الوحدة ويتمشق الهدوء، وهو يحرص
على البقاء هنا في فصل الربيع الباسم حيث لا أنيس
له إلا البحر؛ أما الآن فإنه ذاهب إلى إحدى الجزر
القريبة كما يفعل كل عام تبديلاً للهواء. وفي اليوم
التالى كانت أسرة السيد مارشمل تقيم في ذلك المنزل
الجديد. ثم مضى الرجل إلى البحر يرتاض على
شاطئه الجميل، وانصرف الأطفال إلى اللعب في
الحلاء، وبقيت «إلا» وحيدة تلهو بما عسى أن
تجده من كتب وآثار في غرفة ذلك الشاب. فقد
رأت رفوفاً من الكتب الغربية النادرة قد تكسدت
بعضها فوق بعض في نظام خاص يدل على أن صاحبها
لم يفكر قط في أن يدأ غربية ستمتد إليها. فقالت:
سأأخذ هذه الغرفة لنفسى إذ يظهر لى أن
صاحبها مفرم باقتناء الكتب. هل يمكننى أن أقرأ
بعضاً منها يا مسر هوبر؟

— نعم، إنه أديب نائى وشاعر واعد، له
دخل يسير يكفيه تكاليف الحياة، ولكنه لا يشق
له طريقاً في المجتمع

— أهو شاعر حقاً؟ لم أعرف هذا قبل الآن.
ثم تناولت كتاباً فرأت اسمه في الصفحة الأولى
فصاحت متمجبة: «يا للصادقة! إني أعرف اسمه
حق المعرفة: «روبرت ترو» كذلك أعرف أشعاره.
أهذه هي غرفته؟ وهل هو حقاً الذى أخرجناه منها؟
ثم أخذت تفكر في ذلك الاتفاق الغريب.

لقد كان والدها أحد رجال الأدب البارزين فنظمت
في الأيام الأخيرة بعض القصائد أودعتها عواطفها
الحزينة وأسفها على تلك الحياة الأولى، حياة الحلم
والزهر؛ حياة المرح والشباب التى ضاعت جميعها

في المربع الأخير من الليل أن ظل بقية الليلة يقطع
الغرفة جيئة وذهوباً ، فأطار النوم من عيني واسكني
مع ذلك لم أسبق به ولم أعصيه

كان هذا فاتحة الحديث عن ذلك الأدب
الواعد الذي أخذ يصمد مدارج الشهرة في وثبات
واسعة موفقة .

وفي ذات يوم جاءها صاحبة المنزل تلقت نظرها
الى شيء لم تنتبه إليه وهو آثار للكتابة بالقلم
الرصاص قد نقشت على ورق الحائط خلف الستار
بالقرب من مكان الرأس ، فلم تستطع مسر مارشيل
أن تحبس شعور الدهشة والرغبة ، فاندفعت الى
الغرفة ، وانحنت برأسها الجليل حتى كادت تلمس
الجدار . ثم أخذت مسر هور تشرح لها في أسلوب
المرأة المتمكنة من علمها الواقعة على جميع ما يحيط
بها فقالت :

إن هذه الكلمات هي خواطره الأولى التي
سهو بعقله وهو نائم في فراشه ينقشها هنا خوفاً
من أن ينساها . لقد رأيت كثيراً من هذه الآثار
منشورة بعد ذلك في الصحف ولكن هذه الأسماء
لم تنشر بعد

فاحر وجهها دون أن تدرك السبب وشعرت
برغبة قوية خفية في أن تخلو الى نفسها . ولم تك
المرأة تنصرف الى قضاء حاجة لها حتى أسرع
مسر مارشيل الى غرفة الشاعر وأخذت تنلوه هذه
الأسماء في صوت موسيقى جميل حتى سكوت
أذناها وشالت بها أفكارها الى السموات العلى

كانت الطبيعة في ذلك اليوم غاضبة ثائرة ، فلم
رد مسر مارشيل أن تصاحبه الى البحر الهائج الزبد .
أما هي فقد أخذت تضيق بتلك الحياة الرتيبة الثابتة ،
وتنفّر من ذلك الجو المألوف الثقيل ، إذ لم يعد

به روبرت من الأقبال والتشجيع ، ولكنهم عادت
بصفقة المغبون ، فلم يتصد أحد لكتابها بالنقد
أو التقريظ ، بل لم يفكر أحد أن يعاق عليه أو أن
يشير إليه ولو في إحدى الصحف اليومية .

ولكنها لم تفكر كثيراً فيما أصابها ، فسرطان
ما حطت بها أفكارها من عالم الشعر والأدب الى
عالم الحياة والمنزل ، فقد أحست بجنين يضطرب في
أحشائها فانصرفت عن الأدب وتأهبت لاستقبال
ذلك الضيف الجديد .

جالت هذه الأفكار في خاطر تلك المرأة التي
وجدت نفسها أخيراً وعلى غير انتظار في غرفة ذلك
الشاب الذي ارتبطت به برابط رومى وثيق ، فنهضت
عن كرسيها وأخذت تجول في أنحاء الغرفة تنفّس
في كل ما تراه ، ثم دعت مسر هور تستفسر منها
عن ذلك الشاعر الشاب فقالت :

— وهل يقيم هنا منذ زمن طويل ؟

— نعم . منذ عامين تقريباً وهو يحتفظ بهاتين
الغرفتين حتى في أيام سفره ، فإن جو هذا المكان
بلائم صدره . وهو يقضى وقته في القراءة والكتابة
لا يقابل أحداً ؛ وهو مع ذلك طيب القلب حلو
الحديث يتعنى كل من يعرفه أن يصادقه . إنك
لا تصادفين أمثال هذا الشاب كل يوم

— في طيبة القلب ورقة الشاعر !

— نعم . حتى أنني كثيراً ما أغريه على الخروج
من عزلته ، فيقوم برحلات قصيرة إلى باريس
أو الترويج ، ثم يعود يشكرني لأنه ذاق طعم
السعادة بسببي

— إنه رقيق الاحساس لا شك

— أجل وإن بدا في بعض الأحيان غريباً ، فقد
حدث مرة بعد أن انتهى من نظم إحدى قصائده

ركوب البحر ولا السير مع الشاطئ، متأبطة ذراع زوجها شيئاً بجانب تلك اللذة القوية التي أخذت تشمر بها كلما أوت إلى غرفة ذلك الشاعر المجهول. لقد قرأت أشعاره كلها فاستظهرتها، ثم حاولت أن تعارضها ولكنها عادت ودموع الفشل تترقق في عينيها، وهكذا عاشت تلك المرأة المسكينة مغمورة بتلك المشاعر المذيبة التي أوحى بها اليها غرفة ذلك الشاب الذي لم تره قط.

لم يمد قلب تلك المرأة بغنى على أوتار الحب الأول، ولم يمد زوجها بنظر اليها أكثر من رفيق أو صديق، ولكن قلبها كان لا يزال عامراً بالحب، جياشاً بالمواطف التي تتطلب غذاء وإلا ذابت وماتت. وأخيراً وجدت ذلك الغذاء في ذلك الاتفاق الذي لم تكن تحلم به.

عشر الأطفال يوما على بعض ملابس ذلك الشاعر فأسرعت مسر هوبر ووضعتها في الصندوق كما كانت. أما الأم فقد شمرت بشيء غريب كتمته في نفسها حتى تحين الفرصة، وسرعات ما حانت، فقد خرجت مسر هوبر إلى قضاء بعض حاجاتها، وخرج الأطفال يامبون كماداتهم كل يوم، فأسرعت الأم إلى الصندوق وأخرجت منه حلة جميلة فارتديتها، ووضعت قبعتها العالية فوق رأسها. ثم أخذت تخطر في مشيتها تسأل نفسها: ألا نوحى لي هذه الملابس بما أوحى إليه من روائع الفن؟ لقد طالما خفق قلبه تحت هذه السترة، وطالما تفتح ذهنه الجبار عن روائع الشعر وفوقه هذه القبعة؟ ثم ما لبثت أن شمرت بضعفها بجانبه فمادت والدموع تكاد تطفئ من عينيها، ولكنها لم تكد تصل إلى الصندوق حتى رأت زوجها أمامها فصاح: ما هذا الجنون؟

فاحمر وجهها خجلاً وأسرعت إلى خلعها، ثم قالت لقد رأيتها مصادفة هنا فارتديتها لأسرى عن نفسي ألم الوحدة. ماذا أعمل مادمت بعيداً عني دائماً؟ بعيداً دائماً؟ حسن...

فلما جاء الليل ذهبت إلى مسر هوبر تفدني شعورها بالحديث عن ذلك الشاعر البعيد. فقالت صاحبة المنزل: إنك تملئين كثيراً اسماع قصته. لقد أرسل إلى خطاباً اليوم يخبرني أنه سيأتي غداً لحاجته إلى بعض الكتب.

هل يمكنك أن أبقى هنا عند مجيئه؟

— نعم يمكنك أن تقابليه إذا أردت ذلك فشمرت يارثياخ خفي عند سماعها هذا الكلام ومضت إلى فراشها تفكر في هذا اللقاء المرقوب وفي صباح اليوم التالي قال لها زوجها: لقد كنت أفكر يا (إلا) فيما حدثتني عنه من أني أتركك وحيدة دون أنيس. قد تكونين على حق في هذا، ولكن الجو اليوم صحو، والبحر رهو، والنسيم رخو، فهل لك أن تصحبيني إلى نزهة قصيرة؟ ولأول مرة شمرت (إلا) بسلام رغبتها في تلبية هذا الطلب، ولكنها لم تعان رفضها. ثم اقتربت ساعة الخروج فأخذت تستعد لها، ولكنها ما لبثت أن توقفت عن المضي في اللبس، فإن الرغبة في لقاء ذلك الشاعر المجهول كانت قد جرفت بعيداً سائر الرغبات الأخرى، فقالت في نفسها: (إني لا أستطيع الخروج الآن) وأخبرت زوجها بذلك، فغضى وحده كان المنزل هادئاً في ذلك اليوم، فقد خرج الأطفال إلى الخلاء يلعبون ويعرجون ولم تعد تسمع إلا صوت أمواج البحر تداعب الشاطئ، فرحة بذلك اليوم المشمس الجليل. لقد سمعت الباب يقرع ولكنها لم تر أحداً، فلما نفذ صبرها نادى مسر

لم تظهر كذلك . لقد كانت قادمة على تلك الرحلة التي تعتقد فيها المرأة أن الحب الأخير أقوى من الحب الأول . وفي تلك اللحظة جاءها نبأ من زوجها يخبرها أنه سيقضى أيامه في نزعة بحرية مع بعض أصدقائه . فقامت إلى المائدة وتناولت المشاء مع أطفالها ثم أمضوا جميعاً وقتاً على الشاطئ . وهي لا تفكر إلا في تلك الصورة الختبية وكأنها تتوقع أمراً مخيفاً

ثم عادت إلى المنزل ذاهلة عن نفسها ولكنها لم تجرؤ على إخراج الصورة حتى نام الأطفال وشعرت بالوحدة والهدوء . ولكنها بالرغم من ذلك لم تستطع أن تدنو من الصورة حتى ترضى تلك الرغبة الدفينة في نفسها ، فارتدت أنفخ ثيابها وقامت إلى الأطار وأخرجت منه الصورة ووضعتها أمامها على المكتب . لقد كانت صورة قوية رائعة ، وكان الشاعر لا يسأ قبعة عالية تأتي طلالاً رقيقة على جبينه . أما العينان اللتان وصفتها صاحبة المنزل فقد كانتا تشمان ألباً وبؤساً

انطارت إلى الصورة طويلاً ثم غتمت في صوت هادي ، رقيق : « وهل أنت الذي كسف نوره القوي يرى هذه المدة الطويلة ؟ » ثم غابت في تفكير عميق حتى اغرو رقت عينها بالدموع ، ولست شفتها الصورة ، ثم مالبت أن تضحك ضحكة عصبية ومسحت الدموع من مآقيها ، وأخذت تفكر في نفسها كيف أن امرأة هي زوج لرجل وأم لأطفال ثلاثة تسمح لنفسها أن تنظر إلى شخص غريب في مثل هذه الحالة المريبة ؟

لا . إنه لم يكن غريباً . لقد عرفت أفكاره وعواطفه كما عرفت أفكارها وعواطفها ، فقد كانت نفس العواطف والأفكار التي كان يضطرب بها قلبها

هوبر وسألها عن الطارق ، فأجابها : إنه أحد الأشخاص يسأل عن سكن . لقد نسيت أن أخبرك أن روبرت قد اعتذر عن الحى . اليوم لمدام حاجته القوية إلى المكتب . فإنا الحزن على قلب (إلّا) وبقيت وقتاً طويلاً سيبك لشى الانفعالات حتى أنها لم تستطع أن تقرأ أغنيته الحزينة : (الأرواح العديدة) إذ كان الحزن قد جفف بناييع فرحها

— مسز هوبر . هل لديك صورة لـ . . . ذلك

الشاب الذى يقطن هنا ؟

وكان الخجل قد عقد لسانها عن ذكر اسمه

— لماذا ؟ نعم . فى داخل ذلك الأطار الجليل

العلق فى غرفتك

— ليس هنا إلا صورة للدوق والدوقة

— نعم . إنها فى داخل ذلك الأطار نفسه . لقد

اشتريته خصيصاً لصورته ولكنه جاءنى قبل السفر وقال : « إخفى صورتي عن أعين هؤلاء الغرباء الذين سيقومون هنا فاني لا أود أن يتطلعوا إلى صورتي » ولذلك أخفيت صورته مؤقتاً تحت صورة الدوق . يمكنك أن تريها إذا أردت فإنه لا يغضب ؛ فلو أنه عرف أن الشخص الذى سيقوم فى غرفته امرأة جميلة جذابة مثلك لكان حزيناً ألا يفكر فى إخفاء صورته — وهل هو رقيق ؟

— إنه رقيق فى نظري وإن لم يبد كذلك فى

نظر بعض الناس . ولكنى أعتقد أنه شخص قوى بأسير كل من يراه ، وفى عينيه ريق الذكاء ، وفى بدنه روح المبقرى الثائر

— كم يبلغ من العمر ؟

— إنه يكبرك بسبع سنوات . أى أنه حوالى

الثانية والثلاثين

والحقيقة أن (إلّا) كانت فوق الثلاثين وإن

له برنامج آخر . لقد نعت اليوم ولكنى مضطر أن
استيقظ الساعة السادسة . سوف لأوقفك . فرفت
إليه عينيها بينما كانت يدها تمن في إخفاء الصورة
تحت الوسادة . فأخفى عليها وقال : أحقاً أنت
مريضة ؟

— كلا . ولكنى كاسفة البال فقط

— لا بأس

ثم أخفى عليها ثانية وطبع فوق جبينها قبلة
وفي الساعة السادسة استيقظ مارشيل وهو
بتناب ويستمع بهذه الكلمات : لست أدري أى شئ .
كان تحنى هذه الليلة

فرفت (إلا) عينيها فرأت صورة روبرت في يده

— حسن . لقد قضى على

— أمستيقظة أنت أم نائمة ؟

— ماذا تعنى ؟

— أرى صورة هنا

— أظها لأحد أصدقاء صاحبة المنزل

— إني أعجب كيف جاءت هنا

— لقد رأيتها أمس فربما وقعت من يدي هنا

— إنه صدقك إذن

— إنه رجل ذكى وشاعر واعد وهو الذى

يقطن هاتين الغرفتين ولكنى لم أره

كيف عرفت هذا ما دمت لم تراه ؟

— مسز هوبر أخبرنى ذلك عندما أعطتنى

هذه الصورة

— حسن . يجب أن أتركك الآن . إني

لا أستطيع أن أصحبك مى . راقبى الأطفال جيداً

حتى لا يبعدوا كثيراً عن المنزل

وما كاد مستر مارشيل يترك المنزل حتى أسرع

زوجته إلى مسز هوبر تسألها عن موعد حضور

والتي تفقدتها في زوجها فلم تجدها . « إنه أقرب
الناس إلى نفسى وإن لم تقع عليه عيني » . ثم ألقت
بالكتاب والصورة على منضدة صغيرة بجانب السرير
وأخذت تستميد بمض أشماره الوجدانية ثم
ما لبثت أن أمسكت الصورة في يدها وأخذت تنظر
فيها وهي نائمة ، ثم التفتت إلى الأشعار المكتوبة
بالقلم الرصاص على الحائط . لقد كانت جملاً وسطوراً
كأنها مذكرات « شبلى » . ثم شعرت أن أنفاسه
الحارة القوية تصافح خديها وكأنها منبعثة من تلك
الجدران التي طالما أحاطت برأسه كما تحيط برأسها الآن
لا بد أن يكون قد وضع يده هكذا وهو ممسك
بالقلم . نعم . إن الكتاب مائلة مما يدل على أن
الكتاب قد مد ذراعه هكذا . « إن الصور أكثر
حقيقة من الانسان فهي غذاء الأبدية » هذه هي
الأفكار التي خاطرت في ذهنه في سكون الليل
العميق عندما انطلقت روحه في سماء الفكر
لا تحشى نقداً ولا تناب إنساناً ؛ ولا شك أن هذه
الكلمات قد كتبتها في عجلة على ضوء القمر الخافت
أو نور الصباح الخالي أو بصيص الفجر الأدكن . ثم
بدل شعرها حيث كان يضع ذراعه وهو يسجل
تلك الأفكار الشاردة

لقد كانت نائمة على شففى الشاعر محاولة أن

تنغمس روحه وتشم أنفاسه خلال ذرات الأثير

وبينما هي غارقة في بحار هذه التأملات العذبة

اللذيذة إذ سمعت وقع أقدام على السلم فلم تكذب تصحو

من أحلامها حتى رأت زوجها أمامها يقول : معذرة ،

هل بك صداق ؟ أخشى أن أكون قد أزعجتك

فأخفت الصورة في جركة غريزية سرية

وقالت : ما بى من صداق . كيف جئت الآن ؟

فقال : خفت أن أتأخر إلى الغد الذى أعددت

يذكر فيه أنه وإن لم يقرأ هذا الاسم «جون إيفي» من قبل فسيمنى بكل ما تنشره بعد ذلك . وبالرغم من هذا فقد رأت إلا في هذا الخطاب القصير معنى آخر ، فقد كتب إليها روبرت بنفسه وفي تلك الغرفة التي كانت تجلس فيها

ثم أخذت ترسل إليه من حين إلى آخر بأجود ما تسمح به قريحتها الفياضة لتسأله رأيه فيه ، ولكنها لم تتلق منه رأياً ، فمزت هذا إلى أن روبرت يكتب إليها ظاناً أنها أحد منافسيه من جنسه

لقد كان روبرت صديقاً حميماً لصاحب إحدى المجلات الأسبوعية الكبرى ، وكان ذلك الناشر صديقاً غليظاً لزوجها فكتبت إليه تدعوه لزيارتها وأن يصحب معه صديقه روبرت

كان الشتاء قد انتهى وانقطع المطر ، وأخذت الأزهار تفتح ، والطيور تشدو فوق الأشجار ، واتسحت الأرض برداء الربيع

وفي اليوم الموعد في الساعة الخامسة سمعت قرعاً بالباب فهولت إليه ولكن هالها أن وجدت صاحب المجلة وافقاً وحده فسألته :

— أين روبرت ؟

فأجابها : إلى آسف كثيراً أعدم محي ، روبرت . إنه غريب الأطوار كما تعرفين . لقد وعدني أنه سيحضر ثم عاد فاعتذر

— وعلى ذلك فهو لا يأتي اليوم

— نعم وقد أوصاني أن أعتذر إليك

— متى تركته ؟

— الآن على باب منزلك

— ماذا ؟ وهل مر بمنزلي ؟

لقد تحدثنا ممّا بالباب ثم انصرف وهو في حالة نفسية غريبة . فقد أخرجه عن نفسه مقال نشرته

روبرت . فعلت منها أنه سيأتي في نهاية الأسبوع ثم عاد مارشال قبيل الغروب وأخذ يقرأ الرسائل التي جاءت أخيراً ، وخافه قرر الرحيل بعد ثلاثة أيام — ألا يمكننا أن نبقى هنا أسبوعاً آخر ؟ إلى أحب هذا المكان

— ولكنني لا أجد فيه ما يغري بالبقاء

— إذن أبقى أنا والأطفال

وما الفائدة ؟ إلى مضطر إلى العودة ثانية لأصحابكم إلى المنزل . وعلى كل فليدرك ثلاثة أيام أخرى

ولكن «إلا» رأت أنها مقضى عليها إذا لم تر روبرت ، فبذلت آخر جهدها فعلت أن الشاعر يقيم في إحدى الجزر القريبة منها فذهبت إليها ولكنها لم تستطع أن تهتدي إليه ، فعادت كاسفة البال مهمومة النفس وقد أصبحت الدنيا في نظرها أضيق من كفة الحابل

ولكن السرور ما لبث أن انبعث في قلبها فأمار جوانبه القاعة . فقد عاد زوجها وغير رأيه وسمح لها بالبقاء حتى نهاية الأسبوع ولكن الأسبوع قد مضى وروبرت لم يأت .

وفي صبيحة يوم السبت ، كانت مسز مارشال وأولادها في طريقهم إلى المحطة . لقد كان الطريق مقفرًا قليلاً والجو خانقاً مكتئباً يبعث الضيق والضجر ولكنها بقيت بالرغم من ذلك تنظر إلى البحر وإلى الجزر المنثارة فيه حتى غابت جميعها عن عينها ، فأخذ قلبها المثقل الهموم يتألف إلى حيث يقيم الحبيب . عادت إلى منزل زوجها الريني الجميل جسماً بدون قلب كأنها قبر متحرك . وأخيراً كتبت إلى روبرت تبثه إعجابها وتسأله رأيه في بعض مقطوعاتها الشعرية التي أرسلتها إليه ، ثم انتظرت الرد ، فسرعان ما جاءها بما كانت تخشاه ، إذ جاءها خطاب مقتضب

« عزيزي : قبل أن يصلك خطابي هذا أكون قد وضعت نهاية لتلك الضجة التي ثارت حولي . لن أنقل عليك بسرر الأسباب التي حملتني على هذا ، ولكنني أؤكد لك أنها وجهة مقنعة . ربما لو كانت لي أم أو أخت أو صديقة لما فكرت في أن أقطع مجرى حياتي هكذا . لقد طالما حملت بتلك المخلوقة المشردة التي استوحيتها ديواني الأخير ، ولكن هذا الحلم لم يتحقق ؛ وأرى لزماً على أن أذكر ذلك حتى لا أخرج أية امرأة قد يظن أنها السبب في هذه المأساة »

قرأت (إلا) هذا الخطاب وهي في ذهول عن نفسها ثم أسرع إلى فراشها وانكفأت على وجهها تبكي وتنتحب ثم أخذت تنغم : « أواه لو عرفني قبل ذلك ، أو لو قابلته مرة واحدة ؛ لو أمررت يدي على جبينه الساخن ثم قبلته ، إذن لكنت أذيقه طعم الحب وأشعره بالحياة ، ولكنت أريه استمدادي للتضحية من أجله ، ولكن القدر لم يهيئ لي هذا ولم يتح لي أن أنعم في جننته

ثم قمت لساعتها وكتبت إلى صاحبة المنزل تطالب خصلة من شعر رأسه ، وسرعان ما جاءها الرد بحمل خصلة الشعر ومكان القبرة

وفي أحد الأيام لاحظ زوجها أنها تخفي شيئاً في صدرها فصاح : ما هذا . أخصلة شعر ؟ فتمتمت قائلة : لقد مات

— من ؟

— لا أذكر اسمه

— حسن . ثم مضى إلى عمله حيث اتفق أن قرأ خبر انتحار ذلك الشاعر . وسرعان ما تذكر

إحدى صحف المساء ، نال فيه كاتبه منه كثيراً ، وبما قرأته

— لا . إنه ليس جديراً بالتفكير فيه . فهو كثيره من مثات المقالات التي ينشرها أصحاب العقول القديمة الضيقة . إن موطن الضعف في روبرت أنه يهتم كثيراً بما يكتب عنه . . . ولكن كان واجباً عليه أن يعرف أن هناك من يمطف عليه ويمجيب به — نعم . نعم . لقد وصلته عدة رسائل من إيفي

— أيجب إيفي ؟ هل قال هذا ؟

— إني لا أعتقد أنه أعجب به يوماً

— ولا بشعره ؟

— لا ! !

وأخيراً أيقنت تلك المرأة المسكينة أن شعرها لم يستطع أن يرضى معبودها العظيم فذهبت إلى حيث ينام أطفالها وهجمت عليهم تشبههم لثما وضما

أما الناشر فقد أدرك أنها لم ترد بدعوته إلا لقاء صاحبه ، فانصرف . وفي اليوم التالي نشرت إحدى صحف الصباح الخبر الآتي :

انتحار شاعر

انتحر مستر روبرت ترو الذي عرفه الجمهور منذ سنوات شاعراً مطبوعاً ، وأديباً موهوباً في منزله في سوانتس بطلان تاري . إن الجمهور ليس في حاجة إلى تذكيره بديوانه الشهير « أغاني المرأة المجهولة » الذي نشره في العام الفائت ، والذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية

انتحر عقب قراءته مقالاً عنيفاً تناول فيه كاتبه بالنقد والتجريح ، ثم نشر هذا الخطاب الذي كان قد أعده لأحد أصدقائه وهو :

ولم يعض على هذا الحديث ستة أسابيع حتى كانت (إلا) ملقاة في فرائها لا تستطيع حراكا . وقد ذبل جسمها وجفت ينابيع الحياة فيها . وفي الساعة الأخيرة قالت : « ولیم . إني أريد أن أعترف لك بكل شيء . إنك تعرف تاريخ زيارتنا لسولنتس ، لا أستطيع أن أخبرك كيف نسيتك ، والسكنى كنت في حالة سيئة ، لقد ظننتك دوني كفاءة وعقلاً بينما كان فوق قوة وذكاء . فأردت أن أبحث عن شخص يفهمنى ...

ولكنها لم تحقطع أن تزيد حرفاً على هذا فانتفضت انتفاضة سريعة كانت القاضية لم يكن الزوج كغيره من الأزواج سريع الغيرة كثير الشك فلم يحاول قط أن يدفعها إلى الاعتراف بملاقاتها رجل مات

وفي نهاية العام الثانى بعد هذه الحادثة بينما كان مستر مارشمل يبحث عن أوراق زوجه ليحرقها قبل أن يقرن بزوجه الثانية رأى خصلة الشعر ، وصورة الشاعر ، وخطاب صاحبة المنزل ، وقد كتب عليه التاريخ بخط زوجته . فنهض مسرعاً وأحضر ابنه الصغير الذى كان السبب فى وفاة أمه ووضعها على ركبتيه ، وأمسك بخصلة الشعر وأخذ يقارنها بشعر الطفل ، ثم وضع الصورة على المنضدة وأخذ يفحصها ويقارن بينها وبين قسمة وجه الطفل ، وكأن الطبيعة الماكرة قد شامت أن تجعل الشبه قوياً . فصاح :

تعمساً لى . لقد خانتنى فى هذا الطفل . دعنى أرى التاريخ : الأسبوع الأول من أغسطس ... الثالث من مايو ... نعم ... نعم ... وأخيراً صاح : اذهب أيها الحيوان إنك لا تنسب إلى

نظمى خليل

حديث زوجه عنه والصورة وخصلة الشعر أيضاً . وفى أحد الأيام هبت (إلا) مضطربة مهمومة فكتبت ورقة صغيرة الى زوجها تخبره أنها ذاهبة الى مكان بعيد قد يستغرق منها يوماً ، ثم انطلقت كالريح الى المقبرة . فلما جاء زوجها همست فى أذنه الخادمة أن سيدتها لم تكن فى حالة هادئة فى الأيام الأخيرة ، وأنها تخشى أن تكون قد انتحرت ، ولكن الزوج كان عارفاً بمكانها ، فأسرع توجاً إلى المقبرة وهناك فى غسق الليل أخذ يتلمس طريقه عليه يرى شبح زوجه ، وأخيراً ألمح بصيصاً من النور يشع من بعيد ، فسار اليه وسط أكوام من الصخور والرجام فرأى زوجه حانية فوق القبر فقال :

ما هذا ؟ أنت ركين أطفالك وتأتين هذا الطيش ؟ إني لا أغار من هذا التمس فقد أنهى الموت ما بينى وبينه . ثم أمسك بذراعها وخرج بها من المقبرة حيث أخذ أول قطار دون أن تنطق الزوجة ببنت شفة

مضت على هذه الحادثة بضمة شهور ولم يجرؤ أحد أن يكلم الآخر

أما إلا فقد كانت عاتياً تزداد سوءاً بعد سوء حتى جاء يوم المخاض فقالت :

— إني لا أعتقد أنى سأنجو هذه المرة
— فقال زوجها : أوه . ما هذا الميث ، لماذا لا تكون هذه المرة كسابقاتها ؟ فقالت :
— إني أشعر أنى سأموت ، وسأترك فراغاً فى قلوب أبنائى . فقال :

— وأنا ؟ فقالت :
— إنك ستجد من يخلفنى . فقال :
— ألا ترالين تفكرين فى صديقك الشاعر ؟ فلم تجبه



يَوْمِيَّانَا فِي الْإِثْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

(تابع)

١٤ أكتوبر ...

تركت المأمور يذهب إلى شأنه . وعدت إلى مكنتي بدار النياية . وعلم المساعد بعودتي فحضر وهو كالمشتاق إلى رؤيتي . ولكنه عاتب على إغفالي إياه في واقعة الليل . فتنبهت إلى أني حقيقة نسيت كل النسيان . إن اهتمامي بأسطح حباب المأمور تلك الليلة قد ألهاني ولا شك عن كل شيء آخر . ومع ذلك فهي حادثة نافعة لم يستفد منها غير بطن حضرة المأمور . ولم يقع ضررها إلا على جيب حضرة العمدة . آه لهؤلاء العمدة ! لشد ما أرتى لحالهم ! وظهر « فراش » المحكمة الحاج خميس . فطلبت إليه كوبا من الشاي الخفيف . وانتفت إلى مساعدتي فأقبل على يتحدثني كمن يتحدث لمجرد الحديث ، وكأني به جوعان كلام . إن الوحدة قد كادت تقتله أثناء غيبتي عنه . لقد سئم الريف . إنه لا يجد هنا قهوة واحدة يلقي أن يدخلها مثله . اللهم إلا دكان ذلك الببدال الرومي « طناش » ، وضعت أمامه مائدتان من الخشب وكرسيان من القش . وقد أطلق عليه الأهالي اسم « الخسارة » . وحتى هذا الرومي قد ارتدى جلبابا بجلباب الفلاحين فلم يعد شيء يتم على

أنه « افرنجى » غير لون العيينين والشعر . أين يتنزه ؟ وأين ينفق وقته ؟ هذا الشاب الذي جاء من العاصمة منذ أيام حيث الأنوار والملاهي والضجيج ؟ إنه الآن لا يكاد يرى غير مبان قليلة أكثرها مهتدم . وغير هذه « الجحور » المسقفة بحطب القطن والذرة يأوى إليها الفلاحون . إنها في لونها الأغبر الأسمر لون الطين والسماد وفضلات البهائم ، وفي تكديسها وتجميعها « كفوراً » و « غزياً » مبهثرة على بسيط المزارع ، لكأنها هي نفسها قطعان من الماشية مرسلة في الغيطان . هذه القطعان من البيوت التي تعيش في بطونها ديدان من الفلاحين المساكين هي كل ماتقع العين عليه في هذه البقاع . ويزيد في كربه هذا السكون الذي يهبط على البلدة منذ الغروب . فلا يسمع بعدئذ غير خوار الجاموس ونبح الكلاب ونهيق الحمار ونحيب السواق والشوايف والكباشات ، وأصوات بعض الأعيان النارية يطلقها في جوف الليل الخفراء المخصوصيون

أن أزيده بياناً ليزداد حرصاً ، ولكن الحاج خميس دخل حاملاً كوباً لم يكده يقع نظري عليه حتى صحت :
— ما تسقيني أحسن حبر « كوبيه »
وتخلص !

— صل على النبي ياسيدنا البك ! أنا بقي لي عشرين سنة فراش محكمة . وورد على أصناف الأهالي والوظفين . تصدق بالله ! ما ينفع في المحاكم إلا شاي مرة طعم « الفورنيه » !
فترددت قليلاً ثم لم أجد مناصاً وفات :

— شاي المحاكم وشغل المحاكم كله مرة والسلام ، هات . ! . ووضع الرجل الكوب الزجاجي أمامي وانصرف . وما كدت أرشف رشفة حتى فتح الباب ودخل عبد المقصود أفندي رئيس القلم الجنائي بروحه الذي لا أستخف له ظلاً وقال :
— عندنا من نوع التلبس أربع قضايا .
— هات !

فذهب وأرسل إلى العسكري القادم « بالمحاضر » والمقبوض عليهم . وأخذنا نطالع الأوراق قبل أن نستدعي أمامنا المتهمين . وجمعت من نصيبي ثلاث قضايا . واستصغرت ماغاً أقيمت عليه نظارة سرية وأعطيته مساعدى وأنا أقول له : « سرقة كوز ذرة . لن نمثر لك على أسهل من مثل هذه السرقة . سل هذا المخلوق فستجده معترفاً في أمان الله ! » . وبدأ الاضطراب قليلاً على المساعد : فهذه أول مرة يستجوب فيها متهماً . وتناول من يدي المحضر . وجعل يقرؤه كلمة كلمة . ويعيد قراءة هذه « القسائم » التي لم ترد على الخس . وفرغت أنا من أمر نصيبي البالغ أضعاف ما عنده وهو مازال منهمكاً في إعداد ماخصات وافية ، وماخصات للمخصصات ، وأسئلة معدة إعداداً كأنها قنابل

او النظاميون أحياناً إرهاباً للغير أو تشجيعاً لأنفسهم . إن مساعدى يريد دواء لهذا الضيق . وهل من دواء للريف غير الزواج أو السير المموج أو المطالمة وتحرير المذكرات كما أفعل أنا كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً ؟ وفكر صاحبي في الاختلاف إلى النادي . إنه لا يعلم شيئاً عن نادي هذا المركز . إنه اسم بطلق على حجرة في منزل عتيق يصعد إليها بسلام من خشب . وهي تضاء بمصباح غازى أى « كلوب » وهذا « الكلوب » هو وحده الشيء الجدير بالاحترام في الحجرة . أما أهل النادي فهم بالطبع رجال الإدارة وطبيب المركز وبعض الأعيان والموظفين وصاحب الاجزاخانة . ولا يشغل هؤلاء في ذلك المكان غير لعب الورق و « الطاولة » واغتياب الناس . فهل يليق بمثل النائب العام في هذا المركز أن يندس في هذه الزمرة ! لقد قلت لمساعدى أنى « شخصياً » أفضل أن يكون عضو النيابة بعيداً عن كل هذا إذا كان يريد أن يبجله الجميع . وأنا لن أنسى ذلك اليوم الذى دعانى فيه رجال الإدارة إلى حفلة عشاء في ذلك النادي مع القاضى المقيم تذكيراً لزميل لهم منقول . ولم أستطع الاعتذار فذهبت . وإذا زجاجات الوسكى على المائدة بجوار الطمام . وقد ملأوا كأسى وكأس القاضى . ولم يفتن القاضى لنفسه فشرب وأكثر ، وجعل يثرثر ويضحك حيث لا موضع للكلام والضحك . وعندئذ مال على الأمور وقد سكر هو أيضاً وألقى في أذنى صاحكا : « البك القاضى فقد وقاره ! » فلم أرد أن أسمع أكثر من ذلك . فانسلت منصرفاً إلى بيتى في هدوء دون أن يشعر بي هؤلاء المتخبطون في كوؤوسهم . منذ ذلك اليوم وأنا لا أضع قدماً في هذا النادي . واقتنع مساعدى بكلامى . وأردت

وجه الشاب وتردد، ثم تجرد ونظر الى المتهم وسأله :

— أنت سرفت كوز الذرة ؟

وأجاب الشيخ لغوره من جوف مقروح :

— من جوعى .

فنظر المساعد الى وقال فى لهجة الانتصار :

« اعترف المتهم بالسرقة » !

فقال الرجل فى بساطة :

— ومن قال لى تا كر ؛ أنا صحيح من جوعى

نزات فى غبط من الغيطان سحبت لى كوز ...

ووقف القلم فى يد المساعد ، ولم يعرف ماذا

يسأل بعد ذلك . والتفت إلى يستنجدنى ، فنظرت

الى الرجل سائلاً :

— سين ، يا رجل لماذا لا تستغل ؟

— جيم ، يا حضرة البك هات لى الشغل وعيب

على إن كنت أناخر . لكن الفقير منا يوم ياقى ،

وعشرة ما ياقى غير الجوع

— أنت فى نظر القانون متهم بالسرقة

— القانون يا جناب البك على عيننا ورأسنا .

لكن معنى القانون عنده نظر ويعرف أى لحم ودم

ومطلوب لى أكل

— لك ضامن بضمنك ؟

— أنا واحد على باب الله

— تدفع كفالة ؟

— كنت أكلت بها

— إذا دفعت يا رجل خمسين قرشاً ضمان مالى

يفرج عنك فوراً

— خمسين قرشاً : وحياة راسك أنا ما وقعت عبنى

على صنف النقدية من مدة شهرين . التعريفة نسيت

شكله ، ما أعرف إن كان لحد الساعة (مخروم) من

وسطه والا سدّوه

سستاقى فى صدر سارق « كوز الذرة » . فكتمت

ضحكى . أما أيضاً فى مستهل حياتى القضائية كنت

أفعل فعله . ولقد قسا على القدر أشد مما قسا على

هذا الشاب فنكبتى بقضية زور معقدة كانت هى

أول عهدي بالتحقيق . واست أنسى اضطرابى

وقتئذ وقد مثل أمامى المتهم المزور بطول باعه وذلاقة

لسانه واعتياده المثل أمام القضاة . فذهبت الأسئلة

المجهزة من رأسى ، ولم أدر ما أقول . وانتظر الرجل

واقفاً فى هدوء أن أفتح فى أوفتح الله على بسؤال ،

وتصعب منى شبه عرق وأنا أرى المتهم أحسن منى

حالا وأربط جاشاً وأقوى امتلا كالأرء . وخيل

إلى أنه يسخر منى فى دخيلة نفسه . وكان كاتب

التحقيق رجلاً قديماً ذا مران طويل صادف فى حياته

ولاشك عشرات من المساعدين الجدد أمثالى . عرف

مابى فأسرع بعاونى وبلقننى ما ينبى أن أبدأ به

من أسئلة وأنا أنقبل منه المعاونة بأنفة وكبرياء دون

أن أظهر له حاجتى الى تدخله . وأمثال هذا السكرتير

الهرم من ذوى الحق المموط والفضل المجهول كثيرون ؛

وقد سمعت أحدهم يقول لى مشيراً إلى بعض من

كبار رجال القضاء : « علمناهم الشغل ومشوا

وارتقموا وبقوا قضاة ومستشارين ، والواحد منا

واقف فى مطرحه لا يكبر ولا يصغر » زى ججش

السبيخ » ! تذكرت كل هذا وأنا أنظر الى وجه

مساعدى . ورأيت أن أتمد خطاه الأولى بنفسى ،

فطلبت إليه أن ينحى جانبا هذه الملاحظات ، وأن

يضغط بأصبعه على الجرس . ففعل وظهر الحاجب

بالباب ؛ فأمرته بإحضار المتهم الأول ، فدخل فلاح

كهمل قد برز من صدره شمر أزرق أشيب كأنه شعر

ضبع مسن ؛ وقالت المساعد أن يوجه إليه ما يحضره

من أسئلة ولا يخاف ، وأنا أعينه إذا توقف ، فاحمر

وسراويل ، وكذلك أنواع من الأحذية الجلدية لحساب متجر في القاهرة من المتاجر الشهيرة ، وكانت تجتاز ليلاً بكل هذا جسر التربة المحاذية لدائر الناحية ، فسقط منها في الماء كيس كبير مغمم بألوان الملابس ، ولبت الكيس في أعماق التربة حتى انخفض منسوبها وانحسر الماء عن البضاعة ، فهرعت تلك البلدة العارية الى ذلك الكنز الذي لا يشابه كل الكنوز ، وتسابقت الأيدي الى الكيس الرافد في الطين تجذب من بطنه ما تصل اليه ، فان كان سروالا من الصوف لبس في الحال فوق الجلباب الأزرق وإن كان معطفا من الجوخ دخل فيه الرجل (بحرامه) ، وإن كان حذاء لامعا وضع في الأقدام بغير جوارب . ومضت البلدة تجري في الطرقات فرحة مهللة : « الكساوى في البحر ، الكساوى في البحر ... » ، الى أن رأى رجال الحفظ واستكثروا عليهم النعمة واستغربوا أمرها واستكشفوا سرها ...

ورأيت أن أسألهم أول الأمر جملة ، عانى أظفر منهم باعتراف ييسر على مهمتي . فألقيت عليهم نظرة شاملة :

— سرقتم الملابس ؟

فأجابني من بينهم صوت عميق رزين :
— أبدا والله ما سرقنا ولا نعرف السرقة ؛ البحر رمى علينا الكيس ، وكل واحد منا طال نصيبه

فقلت للرجل من فوري :

— نصيبه ؟ هو الكيس ملك البحر والا له أصحاب خواجات ؟

فأجاب الرجل في صوته العميق الهادئ :
— راح من بالنا أن له أصحاب يحضرة البك

فنظرت الى مساعدي وأملت عليه نص القرار — « يحبس المتهم احتياطياً أربعة أيام ويجدد له ويعمل له فيش وتشيه » . اسجبه يا عسكري !
فقبل الرجل كفه وجهها وظهراً حامداً ربه :
— وماله . الحبس كويس . نلقى فيه على الأقل لقمة مضمونة . السلام عليكم !

وخرج الرجل يدب وقد وضع في معصميه القيد . واطمان مساعدي واستراح باله بذهاب متهمه ، وطلبت القضية التالية . فظهر العسكري ومعه آخر وفتح باب مكتبي على مصراعيه ، وجذبنا الى داخل الحجرة أكثر من ثلاثين رجلاً وامرأة وولداً قد شدوا في حبال من الليف ، إذ لم يجدوا في المركز لكل هذا العدد قيوداً حديدية . فما تمالكنا أن صحت لمنظرهم :

— الله أكبر ! مواشى طالعة سوق السبت ؟ حل الحبال يا عسكري !

فقال الحارس وهو يحل بأسنانه عقدة حبل :
— فتشنا يا سمادة البك بيوتهم وجدنا فيها المنوعات . وباقى غيرهم من أهل الناحية تحت التفتيش والقبض بمعرفة حضرة الملاحظ وأورطة الهجانة !

فأدرت بصرى في هؤلاء الأدميين . واستعدت في تخيلتي ما قرأته الساعة عن تهمتهم في الأوراق التي أمسى وقلت :

— ممنوعات !

فاستدرك الحارس :

— اللبوسات يا فندم

نعم . إن ما قرأت الساعة هو أن سيارة كبيرة كانت تحمل أكياساً ضخمة مملوءة بمختلف الملابس القطنية والصوفية من معاطف وستر

فقمعل وهو يلحن بصوت خافت هذا الجاموس الأبيض الذى لا ينبغي إدخاله حجرات الحكومة . وحانت منى التفاتة إلى مساعدى فوجدته مطرقاً مفكراً . فداخلى حب استطلاع أن أعرف ما بنفسه الآن . أترأه قد تأثر لشيء . أترى دقة الحس ورقة الشعور التى جاء بها كما جئنا كلنا فى مبدأ عملنا الحكوى بالريف ما زالت حية أم أنها فى طريق الموت ... ولكن طرقة عصا شديدة ضربت الباب عرفت فيها ضربة المأمور . ودخل صاحبنا يلثم وبصيح :

— البنت ريم ...

— مالها ؟

قلتها رغماً عنى فى لهفة . فاستراح المأمور على كرسي وأنا أنتظر الكلام من فمه بصير نافذ . غير أنه نظر إلى الحاجب بالباب :

— إسقنى وحياة عينيك !

وأخرج مندبلة الحرير الصناعى من كفه ومسح وجهه ورأسه وأنا على أحر من الجمر . وأخيراً التفت إلى وقال :

— اختفت !

فنظرت إليه ملياً :

— تتكلم جد !

— هربت مع الشيخ كلب !

— الشيخ عصفور ؟ !

— نهاره اسود !

— والعمل ؟

— أمرت فرقة المهجاة أن تقوم فى الحال فتفتنى

الأثر فى جميع الطرق الزراعية ...

وجلسنا فى صمت . وقد شرد ففكر كل منا ...

نورين الحكيم

ربنا بلى مهاتيك ؟ إرأف بحال الفلاحين الساكين !

— المسألة مسألة قانون . والقانون صريح :

إن كل من وجد شيئاً مملوكاً للغير وحفظه بنية امتلاكه يعامل معاملة السارق . فهمتم ؟

— فهمنا يا حضرة البك . لكن ... بقى ...

الكساوى كانت قدام نظرنا ورمها البحر علينا والواحد منا من غير مؤاخذه عريان ...

— أنت يا رجل فاكر الدنيا فوضى ، وإلا فيه

قانون وحكومة ! ويظهر أن الرجل لم يستطع صبراً فقال :

— بقى هى الحكومة لا منها ولا كفاية

شرها ؟ ! لا كستنا ولا تركتنا تنكسى !

— أنا مضطر أن أحبسكم

— يا جناب البك . أنتم فتشتم دورنا وسجتم

الكساوى منا ، والعيال الفرخانة عادت تبكى ،

ورجسنا لأصلنا لانا ولا علينا . يبقى الحبس

له لزوم ؟ !

— أفرج عنكم بضمان مالى

— مالى ؟ ! الفلاحين عرايا يا حضرة النايب !

— تفضلوا من غير مطرود ! دماغى وجمعى

والناقشة مع أمثالكم ضياع وقت . القانون صريح

وأنا مقيد بنصوص أشد من الحبال الموضوعة فى

أيديكم . المسألة عندى قبل كل شيء مسألة قانون .

« يحبس التهمون كلهم احتياطياً أربعة أيام ويجدد

لهم ويعمل لهم فيش وتشبيهه » اسحبهم يا عسكري !

نخرجوا جميعاً فى صف طويل وفى ذيلهم رجل

يقول هامساً :

— يحبسونا لأن ربنا كسانا !

وهذا المكان . ولكن رائحة كريهة انتشرت

فى الحجرة . فتأديت الحاجب وأمرته بفتح النوافذ .

من قصص الحديث

رَحْلُكَ بِالْأَفْوَاحِ

للكاتب الانجليزي كاترين رينولد

بمقام الأديب أحمد فتحي مرسى

أعدائها ، بل وهبته
للعالم أجمع . وقد أذيع
اكتشافه في الآفاق على
موجات الأنير من مراكز
الاذاعة في لندن بخمسة
عشر اسبانا . وكانت
الحديث الدائر على الأفواه
أن ستونهم أكبر عب
للانسانية وأعظم معضد

للسلام على الرغم من مهاجمة صحف النازي له في ألمانيا ،
فقد كانت ترى أنه كان من الواجب أن يذكر
فضل وطنه عليه ، ويخصه بهذا الاكتشاف الجليل .
وقد دعاني ستونهم لظهور ذلك اليوم في مجلة
من الأصدقاء والعلماء فلبيت
دعوته وأمرعت إليه

وكان بيتر ستونهم مديد
القامة ، أشيب الرأس - على
الرغم من أنه لم يوغل بعد في
الشيخوخة - أزرق العينين ،
صافي القلبيث ، يبدو فيهما
أثر الحزن والتفكير العميق ...
قال أحد المدعوين :

— إنه يبدو محيياً حقاً أن
ستونهم الذي افتن في اختراع

الهلكات ، وتعمدى في ابتداء عُدَّة الموت إبان
الحرب ، هو عينه ستونهم الذي ينال اليوم جائزة
نوبل كأول خادم للسلام العام . فاطرق ستونهم
لحظة ثم قال :

— هذا عجيب حقاً ... ولكن لا تنس

كانت سونيا الحسنة ، وبيتر ستونهم ، وذلك الذي
يدعونه نيكولي ، كنت مع أمانى من لحظة للحظة ،
وتتمثل في خاطري من حين لآخر وكنت إخال
أنى أسمهم يتناقضون الحديث ، ويتساجلون القول ،
وأما جالس أرفع الأذن لحديث
ألفون جيتير الذي كان يروى
قصتهم على كتيب منى

واقعدت إلى منزلى ظهر
ذلك اليوم الذى قال فيه بيتر
ستونهم جائزة نوبل للسلام ،
وتناقض اسمه الأفواه ، ولهجت
بذكره الألسن ، وكان الرأى
السائد فى العالم أنه منجى
الانسانية ، ومنقذ العالم من
ويلات الحروب



ومنذ شهر قلائل أعلن ستونهم على ملا من
العالم أنه وفق إلى اكتشاف علمى جليل ، يحمى
العالم من الغاز السام على اختلاف أنواعه ، وتمدد
حالانه ؟ ولم يخص بهذا الاكتشاف الجليل دولة
من العالم تتدبر به ضد غيرها ، وتتحرز به من

يا صديقي أن « الديناميت » و « البارود » وغيرهما من المفرقات كانت من إنتاج قريحة الفريد نوبل نفسه الذى يتقدم اليوم بجائزته إلى محبي السلام العام ... فقال آخر

— وعلى ذكر هذا أقول : لماذا اختار الدكتور ستونهم لفظ « سونيافين » اسماً لاكتشافه على ما فيه من غرابة ؟ ... ثم ستونهم بيده على جيبه ثم قال :

— حقاً إنه اسم غريب ولكنه بقية ذكرى فى نفسى ، وحلم سعيد كان مصيره الزوال ، كباقي الأحلام ... !

— حلم ! هذا عجيب ! أيعنى الدكتور أن هذا الاسم أضفأت أحلام فى ليلة ما ؟

— ليلة ما ! كلا يا صديقي فقد استغرق حلمى عامين ... والآن يا صاحبي دع هذا جانباً فانه بشير فى نفسى ذكريات ألمية

وانتقل الحديث من هذا الاسم الغريب ، ومن ذلك الحلم الذى استغرق عامين إلى نواح متعددة ، وشجون مختلفة ، حتى انفرط عقد الحفل ومضى كل اسبيله

عدت إلى منزلى ، فوجدت البارون الفون جنتنر فى انتظارى ، ولما علم أنى كنت فى ضيافة بيتر ستونهم ... سألنى :

— وكيف كان يبدو ستونهم ؟ فضحكت وقات :

— على خير حال يا صديقي ... اللهم إلا عند

ما سأله أحدهم عن سبب اختياره لفظ سونيافين اسماً لاكتشافه الجديد ... فقال فى دهشة وعجب :

— يا إلهى ! أسألوه عن ذلك ؟ ... كان ينبغي

ألا يخوضوا به إلى تلك الذكرى المؤلمة ... إننى على الرغم من كونى أقرب أصدقائه لا أجرو أن

أجرى أمامه مثل هذا الحديث

— حقاً إنك أقرب أصدقائه ... وأظنك تعلم عن هذا الرجل ما خفى عنا ؛ فما الذى دعاه بعد أن أورد جيوش العالم موارد الهلاك ، بما ابتدعه من مراكبات ، أن يجعلها عليهم اليوم برداً وسلاماً ؟ وما الذى حدها إلى اختيار هذا الاسم العجيب الذى حير الأذهان ؟

— حسن يا صديقي ... سأخبرك بذلك ، وإنها لقصة عجيبة أنت أول من يحظى بسماعها ... أجل سأحدثك الآن عن ستونهم ، وعن سونيا ، وعن ذلك الرجل الخالى من الروح الذى يدعونه نيكولى .

فقلت فى دهشة :

— الخالى من الروح ؟ ولكن لى كل الرجال أرواح يا فون جنتنر

— مهلاً مهلاً ... لا تتسرع يا صديقي واعتدل البارون فى جاسسته ، ثم أخذ يسرد على نفسه فقال :

عرفت الدكتور بيتر ستونهم لأول مرة خلال الحرب الأخيرة ، وكان كوكباً زاهراً فى عالم الاختراع ؛ وقد بدأ حياته بالاشتغال بالظريات الرياضية ، ثم تعاقب علم الطبيعة ، وشفغ بالكيمياء فكانت خفاياها وأسرارها ككتاب مفتوح يتملى منه آراءه ، ويستوحى أفكاره ، ويمرور الزمن وتعاقب الأيام فكانت بيننا أواصر الصداقة ، وتوثقت عرى المحبة ، وكثيراً ما كان يحدثنى عن نظامه وآرائه وعن بحونه الطويلة فى الجهد والطاقة ، وكثيراً ما تردد على مسامى قوله :

— إن حرب المستقبل لن تكون قط حرباً بين جيوش ، بل ستكون الآلات عدتها ، والعلم عدتها ... فأجيب مداعباً

— إن أجاربك فى رأيك هذا ، حتى تخترع

لنا إنساناً يستطيع أن يفكر

— هذا ما أرجو تحقيقه يا فون جنتنر

— وماذا عساك تصنع بهذا الانسان إذا وفقك الله إلى إبراز ما في مخيلتك ؟

— الحرب يا عزيزي دون شك . . . إن العالم ما زال يعتمد على الانسان في الحرب على الرغم مما يفقد من الجيوش ، ورغم ما في الانسان من غرائز الخوف والهرب . . . إنى آخذ أهبتى للحرب المقبلة وسأملأ بهذا الانسان وأمثاله ساحات الوعى ، وسأزودهم بأشعة الموت عوضاً عن الفنايل والبنادق . فقلت ضاحكاً :

— إنك ستمالك دماء يا بيتر . . أتبنى أن تكتسح العالم وتسحق جيوشه بما تسميه علماً واختراعاً ؟ —
— إنى أرى أن العالم لم يتقدم قيد شجرة ، ما دام الانسان يلعب دوراً هاماً في الحروب . . . وسأعمل من الآن على تحقيق ما أرى في ضوء تلك النتيجة التى وصل اليها اينشتين سنة ١٨٠٥ « إن المادة يمكن تحويلها الى طاقة ، وإن الطاقة يمكن تحويلها الى مادة » ، وأغاب الظن أن الشمس هي مصدر الطاقة والحركة ، ومبعث النشاط الانسانى ؛ وليس هذا عجيباً فالهنود يعبدونها من قديم . . . وربما أدركوا أنها سر تلك الحياة . ومحور تفكيرى الآن الذى أدور حوله هو أن الشمس مبعث الحركة ، وأن أشعتها هي مصدر النشاط الانسانى

وربما انتهت الحرب قبل أن يوفق بيتر في إبراز فكرته الى العالم ولكنه كان دائب البحث ، دائم العمل ، يصل ليله بنهاره في دراسة أشعة الشمس . وليس بعسير أن أتقن العالم بأشعة الشمس لفحصها في معمله ، فقد تمكن نيوتن من اكتشاف جهازه « البكتروسكوب » الذى يمكن الانسان من دراسة الأشعة وفحصها فحصاً دقيقاً

كما يفحص الطبيب مكروب الداء تحت منظاره وسافر ستونهم فجأة الى باريس لمواصلة دراسته مع العالم الفرنسى « جورج رابيه ليتر » ثم عاد بعد سنتين وممل برديه الزهو بشيئين أولهما : الانسان الذى اخترعه ، وثانيهما : زوجته الحسنة الروسية سونيا ، قال :

— وستمعجب بها يا فون جنتنر . . لقد قابلتها في باريس . . إنها إحدى نبيلات روسيا اللواتى هاجرن إبان الثورة ، وضحك ثم قال :

— ولذلك سترأها الليلة فاقمة على الثورة والفلاحين . . وسترى أيضاً آلتى التى ستمعجب بها كثيراً

وأصدفك القول أنى رأيت تلك الليلة ما عجبت منه كل العجب : رأيت ذلك الانسان الذى تحركه الأشعة بدل الكهرباء ، ورأيت سونيا ستونهم وكانت سمراء الوجه رشيقه القوام ، تجمع الى جمال وجهها رقة في الحديث ، وظرفاً في القول وقد طرقتنا في الحديث شعاباً شتى وشجوناً عديدة إلى أن مال بنا الى الكلام عن روسيا وثورتها فالتفت عينا سونيا وقات دون ريب ولا روية — هؤلاء الفلاحون . . لعنة الله عليهم . .

لقد هدموا في أمسية فائرة من الصروح المشيدة والبروج الممردة ما بذاه أسلافنا في دهور طويلة . . لقد قتلوا أنى . . وما نجوت من برائهم إلا بشق النفس . . ويمكنك أن تفهم الآن لماذا لا بأخذنى العُجب والزهو بأننى روسية . . ولماذا ترانى دائماً فاقمة ساخطة على هؤلاء الفلاحين . . لقد كانت لنا أراض واسعة ، وسهول مديدة ، وكنا نملك الألوف المؤلفة من هؤلاء الفلاحين ، فصفرت راحتنا ، وخلا وطاينا

وقد استرعى خاطرى قولها : « كنا نملك

في أداع وخشوع ، ثم امتدت يديته إلى زر آخر
ففاض في الفرفة نور أزرق قائم بقيض النفس
فهاضت قوى ذلك الواقف أمامنا ، واسترخت
مفاصله ، وجلس في مقعده كما يجلس ابن السبعين
وهو يتوه تحت أعباء السنين .



ومضت أنقرس وجه ذلك الانسان ،
وأما مشيت النفس مشرد اللب إلى أن جذبتني بيتر
من يدي قائلاً :

أرأيت كيف يحسن إنسان تكاليف الحياة
ونظم المجتمع ... إنه يتحرك بالاشعة كما رأيت ،
وهذه الأشعة هي المؤثر الخارجي الذي يدفعه إلى
التفكير كما تدفع الانسان مؤثراته الخارجية من
جوع وخوف وفرح وغيرها ... ولقد أسميته
« نيكولي » ولما رأيت فيه بعض مشابهة من الفلاحين
الروس ابتعت له هذه الملابس الروسية ... إنه
الآن يفكر بمقل الفلاح الروسي ، على الرغم من أن
تفكيره لم يزل في مرحلة البداءة » ، وأطرق بيتر
قليلاً ثم استطرد في شرحه :

— ولقد زودته بمركز عصبي يقابل المخ في

الفلاحين » إذن فسونيا من هذا النوع الذي يملك
الرجال ؛ ولا شك أنها تحس الآن من أعماقها أنها
تملك بيتر ستونهم ، فإن يصبح بيتر ستونهم من
الآن ملكاً للعالم كما كان من قبل
وحادث سونيا بمجرى الحديث عن الروسية
فقالت :

— لقد حدثني بيتر عنك كثيراً يا قون جنتر ،
وأخبرني أنك قلت له إنك لن توافقه في آرائه
حتى يخرج إنساناً بفكر .

— هذا حق ... إن كان بيتر قد صنع مثل
هذا الانسان فستصبح الدنيا تحت قدميه ... فضحك
بيتر قائلاً :

— إننا لم ننقه بعد يا قون جنتر ... ولكن
انهض بنا لنرى ما نتم .

وكان العمل في الجناح الخلفي من المنزل ،
فسرنا بصحبة بيتر في ممر ضيق ، يمتد الرهبة في
النفس ، ويرسل القلق إلى القلب ، حتى بلغنا باباً أنقلته
الخدائد ، وناء بما حمله من الرُشج ... فقلت ضاحكاً :
— ما هذا ؟ ... أتحشى أن يسابك اللصوص
صاحبك يا بيتر

كلا يا صديقي ... بل أخشى أن يملّ ضياقتنا
فيمجرنا .

وطأ بيتر الباب حتى فتحه فوجدنا الفرفة ،
وكان الظلام يحلل أركانها ، ويغشي جنباتها ،
فضغط بيتر أحد الأزرار الكهربائية ، فغمر الفرفة
نور زامٍ ساطع يعمي العيون ، ويبهل الأبصار ،
ولكنه لم يثر من عجب ، فقد ما أثار ذلك الجالس
على المقعد في وسط الفرفة . وما إن لمح ناظري ،
حتى هب واقفاً في ريث وتؤدة ، كما يقوم الانسان
المادي ، ثم أحنى هامته الحديدية معانداً نحيته

ماجد من أمر نيكولى ، وكانت تملأ عينيه المسخيلة
والمُجْتَبِ ، ويتملكه زهو الأبوة النجبة بالولد
الذكى النجيب .

وكانت شمس الطفّل لا تزال تلتقي على السكون
وميضاً من شعاعها عند ما ولجنا غرفة نيكولى ففتح
بيتر النافذة قائلاً :

— لو اعتمدنا فقط على أشعة الشمس لنبعث
الحياة فى أوصال « نيكولى » لرأينا يموت فى الليل
ويبعث فى النهار ، ولكن رأيت استدامة نشاطه ،
وبقياً على حياته ، أن ألجا إلى توليد أشعة الشمس
فى المعمل ... ولكن انظر ... وأشار إلى نيكولى
وكانت أشعة الشفق الحمراء قد بدأت تغمر
الغرفة ، وتفيض فى أرجائها ، فأبنا نيكولى يقوم فى
تؤدة حتى يستقيم ، ثم يرفع ذراعه اليمنى حتى توازى
كفّه ، ثم يستدير على عقبه حتى يواجه الشمس
الغاربة . فقال بيتر هامساً :

— « رأيت ... » ، ثم استطرد قائلاً : « الآن
عند ما تهبط الشمس الغاربة عن الأفق ... وتغرب
على مدى ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال ... وبنقطع
شعاعها عن نيكولى تهمد حياته وتحمد حرركه .
وكان الليل قد أخذ ينشر سجوفه الفاتحة
ويرخى مسوحه المظلمة على السكون ، فأزّل نيكولى
ذراعه ، وعاد إلى مقعده ، ثم جلس فى صمت
وحزن ... فقال بيتر :

— إننى لم أحاول بمدّ تعاليل هذه الظاهرة
المعجبية ... لماذا يرفع « نيكولى » ذراعه ويواجه
الشمس الغاربة فى خشوع وخضوع ... فالتفت
عينا سونيا . ثم قالت فى صوت مضطرب :

— هذه عادة الفلاحين فى روسيا ، فعند
ما ترسل الشمس الغاربة نظراتها الأخيرة إلى
السكون ، يولون وجوههم شطرها رافعين الأذرع ،

الإنسان العادى ، فإن منح الإنسان يقوم فى الجسم
بمئات مراكز رئيسية تماونه أعصاب مصدرة وأعصاب
موردة ، فمثلاً إذا قربت يدك من مدفأة ساخنة
حلت الأعصاب الموردة إلى المخ : أن ارفع يدك ،
فيصدر المخ أمره عن طريق الأعصاب المصدرة إلى
اليدين برفعها ، فترفع يدك دون أن تحس بهذه الدورة
العصبية .

فالشماع الأبيض الساطع يؤثر فى مراكز نيكولى
العصبية فيجعله يقوم ويحيى ، والشماع الأزرق يؤثر فيه
تأثيراً مخالفاً فيجعله ينحني ويجلس ... وكما أن هناك
مواد تجذب الحديد ، فهناك أيضاً مواد تؤثر فى
الأشعة وتجذبها ، ومنها صنعت مراكز نيكولى
العصبية . واستطرد بيتر قائلاً :

وسيكون نيكولى وأمثاله من الملايين عمدة
الحرب المقبلة ، فإن يقف فى طريقهم إنسان ، وإن
يقتل فى عضدهم قتال ، أو يقل من غربهم سيف .
— وتسابقت إلى خاطرى صور عدّة ،
وتراجعت فى مخيلتي مشاهد كثيرة عن ذلك الرجل
وأمثاله ، وهم يدخلون إلى المدن ، وقد سقطت
تحت ربقهم ، ووقعت فى قبضتهم ، فأخذوا
يحطمون ما صادف طريقهم من عوائق ، ويصرعون
ما عترض سبيلهم من جيوش ... فقلت :

— هذا حسن ، ولكن ماذا جنت عليك تلك
الأرواح البريئة التى ترهقها بما كشفه علمك ،
وأنتجتة قريحتك ... فرفع بيتر كتفيه قائلاً :
— وما قيمة الأرواح يا صديقى إذا هى وقفت
فى سبيل العلم ؟

ومضت الأيام تتبع الأيام ، والشهور تتروم
حتى الشهور ، إلى أن كان يوم قابلي فيه بيتر
مشرق الوجه ، منبسط الأسارير ، ودعانى لمشاهدة

المجد والشهرة؟ ... تلك أحلام يا صديقي ...
إن ينال المجد والشهرة سوى نيكولى ... أما نحن
فسنصبح في زوايا النسيان بعد أن أنفقنا في خلقه
مبعدة صبابنا، وأخلقنا جيدة شبابنا، حتى أصبحنا
نخطو إلى الهزال والسقام، كلما نخطو إلى السكال
والتمام»

وأطرفت قليلاً ثم رفعت رأسها كمن خطر له
خطر ثم قالت في سرعة:

— فون جنتير ... إن نيكولى أسير في غرفته،
وأرى أنه لا بد محطم ذلك الباب ومحطمان أيضاً
إذا تقدم به العلم قليلاً:

— ولكن كيف يحطم سادته وأولياء نعمته؟
كحطام الفلاحون الروس ساداتهم وأولياء
نعمتهم



وهنا أدركت أن سونيا ورثت عن أسلافها
من النبلاء ذلك السكر المتأصل في نفوسهم للفلاحين،
وأنة قد دخل في روعها أن نيكولى فلاح روسي ...
فنهضت قائلاً:

مبتهمين إلى الله ... ونيكولى فلاح روسي؟ فلا غرو
أن يقفوا أثر قومه ...

وكان وجهها شاحباً، وعيناها ذابلتين يبدو
فيهما ما يسيطر على نفسها من الرهبة، وما يرمض
قلباها من الألم «ورأى بيتر ذلك فقال مرفهاً عنها:

— سرى عنك يا عزيزتى ... إنك است
روسية بعد ... وأما هذا الانسان فما هو إلا آلة
صماء خرساء ... فقالت متوسلة:

— ألا تنفض عنه هذه الثياب يا بيتر ... إنه
يبدو فيها كالفلاحين اللذين كننا نملكهم يوماً ما.

فضحك بيتر واسكنه لم يخالج عنه الثياب.

وأظن أن تلك الأمسية كانت بدء كراهية سونيا

لنيكولى وسخطها عليه ... لقد كانت تعتقد أنها

تملك بيتر وحدها دون شريك، ولكنها اليوم

ترى لها شريكاً أشد، وخصماً ألد، يفرق بينهما،

ويحول دونهما.

ومضت بضمة أسايينع لم أر في خلالها بيتر إلى

أن قصدت ذات يوم لزيارته، فوجدت سونيا

وحيدة في المنزل، وكانت تبدو كالزهرة الذابلة،

فلانضرة في القسيات، ولاوضاءة في الوجه، ولا بريق

في العينين، وجلسنا نتحدث عن العلم وعن بيتر

إلى أن قالت:

— وماذا جد من أمر نيكولى؟ أترأه في طريق

التقدم؟

— نيكولى؟ ... لا نجبر أمانى ذكر ذلك

الامم ... لقد أصبحت أبغضه من كل قاي ...

ألا تعلم أن بيتر يقضى معه آناء الليل وأطراف النهار

دون أن يخرج من غرفته و ... فقاطعتها قائلاً:

— ولكنه قريباً ما يتمه وينال به المجد والشهرة.

وقالت مرعدة:

متزن الجرس متسقي النبرات ، وقد عرفت فيه صوت بيتر يقول :

ومن هو ذلك الرجل الخالي من الروح ؟
فأمرعت إليه قائلاً :

بيتر... إن سونيا لا يمكنها أن تصبر أكثر من ذلك ... إنها تعتقد أن نيكولي يقف حجر عثرة بينكما ، أخبرها أنه ليس إلا لعبة يتسلل بها عقلك ،

وآلة تنلهي بها

يداك ... فمر بيتر

بيده على جبهته ثم

تقدم لسونيا قائلاً :

— سونيا ...

إنني لست لأحد

سواك ، وما صنعت

تلك الآلة إلا لأخلد

اسمك بجوار اسمي ،

والأأجملك مرهوبة

بأعماي ؛ وإن لفظة

منك لتجعلنني أحطامه

تخطبها »

وأشرق وجه

سونيا ، وبان الرضا

في عينيها ، وبدأت

كمن ألقى عن نفسه عبئاً ثقيلاً آده وبهره ...
وتحوات فجأة إلى نيكولي حتى لست صدره ، وكان لا يزال رافعاً ذراعه ، فصاحت به :

— ما الذي يجعلني أخافك أيها الانسان الآلي ؟

إنك فلاح ونحن النبلاء لا نخشى الفلاحين . إنك

خادم لنا ولعبة في كفنا إنني لا أخافك ولا

أرهيك فأنت عاجز عن أن تمسني بسوء ...

— سونيا ... هيا بنا إلى غرفة نيكولي ...

سأريك أنه ليس إلا آلة بسيطة يمكن الطفل أن يحررها ... هيا ...

— اقنعني بذلك يا قون جنتر ... اجعاني

أعتقد ذلك ... اجعاني أعتقد أن نيكولي ليس إنساناً

وأخذت بيدها إلى العمل ، وكان نيكولي جالساً

كمادته في ملابس الروسية ، وكان يبدو عليه أنه أقرب

إلى الانسانية من

ذي قبل ، ونظرت

فاذا سونيا ترمقه

من خوف . فقات

لها وأنا أشير إليه :

— بضع مئات

من الأبطال

الحديدية : هذا

كل ما في الآلة

— هذا كل

ما في الآلة : كلا

باسيدي ...

وأمرعت إلى

النافذة ففتحتها ،

وكانت الشمس قد

أذنت بالغروب

ففاضت في الغرفة أشعة الشفق فقام نيكولي كمادته ، مولياً وجهه شطر النافذة رافعاً ذراعه اليمنى ... فقات — هذا عمل آلي محض ... ثم استطردت ضاحكاً :

— سونيا أنخشين رجلاً خالياً من الروح ...

خالياً من الشعور

وارتفع في تلك اللحظة صوت من ألقى الغرفة



العلة الروحية التي تربط الناس ببعضهم... وأظنك تعلم مبالغ حي لسونيا ، والآن وقد قضت نحبها فاني أحس أني قضيت معها نحي...

لقد أزهقت آلائي إبان الحرب من الأرواح البريئة ما يعجز عن حصره البيان... وكل روح من تلك الأرواح... لا بد أن كان هناك من يألم لها إلى الآن على سونيا

وأطرق قليلاً ثم رفع رأسه قائلاً في حزن :
لقد كان العلم في يدي أداة لأهلاك العالم وتدمير الأرض ، فلم لا أجمعه أداة لخدمة العالم وخدمة الانسان ؟

تذكرك أن تعمل على ذلك يا بيتر... وأقد وهبك الله قريحة هي خير من يخدم العلم إن شئت ، فأجب في ألم :

— حقاً... حقاً... سأعمل على ذلك يا نون جيتنر ، سأصالح ما قدمت يداي ، سأسو جراح العالم ، وأدرا عنه ويل الحرب...

واستقام الفون جيتنر واقفاً ، وسار إلى الشرفة في خطوات مترنة ، وكانت الشمس قد هبطت عن الأفق ، وغابت على مدى ثلاثة وتسعين مايوناً من الأميال ، وبدأ الليل ينشر ذوائبه الفاحمة ويرخي نقابه الأسود على الأفق ، فاستدار الفون جيتنر إلى قائلاً :

لقد كنت تريد أن تعرف لماذا يؤثر ستونهم الآن خدمة السلام العالم... ولماذا اختار اسم سونيا قين اسمها لغازه الجديد...

— « حسن... لقد أخبرتك »

أحمد فتحي مرسى

وفي طرفه عين ، ودون إنذار أو تحذير سقطت تلك الذراع الحديدية الثقيلة على رأس سونيا ، كما يسقط الحجر على بيضة الطائر فيم شمهاتها شياً

ووقف كل من في مكانه مشدوهاً من هول الحادث ، ومضت رهة قبل أن تجمع أشنات عقلينا وعلق بصري نيكولي ، فرأيت به يجلس في هدأة وسكينة... وصمد في رأسي ذلك السؤال فجأة . « لماذا أسقط نيكولي ذراعه في تلك اللحظة ؟ » ولجأة تذكرت أن الشمس قد هبطت عن الأفق ، وغابت على مدى ثلاثة وتسعين مايوناً من الأميال ، وأن الظلام عاد برخي سدوله وينشر مطارفه السود على الأفق ونظرت إلى بيتر وكان وجهه الشاحب كوجوه الموتى ، جامداً لا يتحرك ، شاخصاً لا يطرف ، واستدار على عقبه فجأة دون أن ينبس ببنت شفة ، وخرج من الغرفة ثم عاد بعد قليل وبين يديه قضيب ثقب أنفاله به على نيكولي فخطم رأسه ، وهشم أوصاله حتى ملأت أرض الغرفة . وكانت سونيا تسبح في بركة من الدماء ، فتقدمت إلى جثتها ونقلتها إلى غرفة أخرى ثم عدت إلى بيتر وكان مستغرقاً في ذهوله ، وما رأي حتى قل دون أن يبي ما يقول :

فون جيتنر... أكان نيكولي آلة حقاً... أم كان إنساناً يعقل ما يفعل ؟ أتراني خلقت فلاحاً روسياً يحقد على النبلاء وتغيبض نفسه بالانتقام ؟ — هذا توهم يا صديقي... إنك لم تتدع إلا آلة كان موت سونيا خطأ منها .

فنظر إلى بوجهه الساهم الحزين ثم قال :

— فون جيتنر... إنني لم أقدر قبل الآن تلك

المستري بكونك ورفاقه

للقصص الانجليزية شارلز ديكنز

(تابع من نشر في العدد الماضي)



شارلز ديكنز

وانجيه الرجل على حين غفلة إلى مستر تومبان قائلا : « فتاة جميلة أيها السيد » ، وكان مستر تومبان يصوب نظراته في مظهر لا يتفق ومبادئ تلك الجماعة ، جماعة بكونك ، إلى عادة في الطريق وأجاب تومبان بقوله : « جداً »

— ليست فتياتنا من الجمال كفتيات أسبانيا مخلوقات نبيلة ... شعر أشقر ... عيون دمع ... قدود رشيقة ... مخلوقات حلوة ... جميلة وتساءل مستر تومبان : « هل زرت أسبانيا أيها السيد ؟ »

وأجاب ذلك الشخص قائلا : « قضيت هناك عصوراً »

فسأله مستر تومبان : « هل نعمة من انتصارات أيها السيد ؟ »

— انتصارات : آلاف ... دون بولارد فزجييج ... جراندي ... بنته الوحيدة ... دونا كرسثينا ... مخلوقة جميلة ... تحبني حب الجنون ... أب حقود . ابنة عزيزة النفس ورجل انجليزى وجيه ... دونا كرسثينا في يأس ... مم . مضخة صغيرة للمدة في حقيبتى ... عملية ناجحة ... بولارو المعجوز في مرور غالب ... يوافق على زواجنا ... أيد مشتبكة وفيض من الدمع ... قصة مؤثرة ... جداً »

وكانت صفات تلك الفتاة ومفاتها قد تركت أثراً عميقاً في نفس مستر تومبان فسأل الرجل : « هل السيدة في إنجلترا الآن أيها السيد ؟ » — « لقد ماتت أيها السيد ... ماتت » وعندئذ وضع الرجل على عينه خرقه صغيرة قدرة كانت بقايا منديل قديم وأتم كلامه قائلا : « لم تشعر بهدم هيكلها ... وذهبت فريسة » وسأل سندجراس ذو النفس الشاعرة : « وماذا كان من أمر والدها ؟ » — « حزن وشقاء ... اختفى فجأة ... حديث

المدينة كلها ... بحث في كل جهة ... لا طائل ...
يقف انفجار الماء بفتة من النافورة في الساحة
الكبرى ... أسابيع تنصرم ... الماء لا ينبعث
عمال لتطهيرها ... نزع الماء الراكد ... وجه
حارى رأسه إلى أسفل في فوهة النافورة ...
أخرجوه ... تلب المياه متدفقة من النافورة كما لم
يكن هناك شيء .»

ولقد بلغ التأثير بمستر سند جراس مبلغاً عظيماً
فقال : « هل تسمح لي أيها السيد أن أثبت في
دفترى تلك المأساة الصغيرة ؟ »

« اسمح لك لا ريب أيها السيد ... خمسون
غيرها إن شئت أن تسمع ... حياة غريبة . تاريخ
عجيب ليس تاريخاً فذاً ... ولسكنه وحيد في بابه »
وظل الرجل يقص من تاريخه عليهم وهو
يتناول بين الفينة والفينة كأساً من الخمر ، حتى
بلغت العربة قنطرة روشستر ، عندئذ كانت
صفحات كل من مستر بكوك ومستر سند جراس
قد امتلأت بما اختاره من مخاطراته

ولاحت لأعين السفر قلعة قديمة ، فصاح مستر
سند جراس بكل ما وسمه من حماسة شعرية انصف
بها « يالها من أطلال فاخرة ! »

ورفع مستر بكوك منظاره المقرب إلى عينيه
فانطلق لسانه قائلاً : « ما أعظمها موضع دراسة لمن
يعنى بالآثار ! »

وقال الرجل : « آه ... مكان جميل ... قلعة
فاخرة ... حوائط عابسة ... أقواس متداعية ...
برج ... متهدم وهناك كنيسة قديمة أيضاً ... برت
سلمها أقدام الحجيج ... » وهكذا ظل الرجل
يهنئ بمثل تلك المبارات حتى بلغت العربة فندق
« بول » فنزلوا ؛ وهناك سأل مستر ونكل ذلك الرجل

هل يبقى في الفندق ؟ وأجاب الرجل بأنه لا يعتزم
البقاء . ثم أتجه مستر ونكل إلى مستر بكوك وتتم
بعض كلمات ، ثم سرت همسة من فم مستر بكوك
إلى اذن مستر سند جراس ، ثم من مستر سند جراس
إلى مستر تومنان ، وأخيراً اهتزت الرؤوس كلها بإيماءة
موافقة ، فخطب مستر بكوك ذلك الغريب بقوله :
« لقد أوليتنا اليوم صنيعاً جميلاً أيها السيد ،

فهل تسمح لنا أن نتقدم بدليل بسيط على ما نكفنه لك
من شكران ؟ إنا نرجو منك أن تشرف مائدتنا اليوم »
« مع فائق السرور ... ولتكن دجاجة وحرق

وما يقدم معها ... على أنى لا أقترح ... ومتى يكون
ذلك ... ؟ »

وأجاب مستر بكوك : نحن الآن قبيل الساعة
الثالثة ، فهل يلائمك أن يكون الأكل عند
الخامسة ؟ »

« ... يلائمني ذلك تماماً ... عند تمام الخامسة ...
وإذن فلتمنوا بأنفسكم حتى ذلك الوقت ... وانطلق
الرجل بمد أن رفع قيمته قليلاً عن رأسه وأعادها
في فتور ؛ وكانت تبرز إلى النصف من جيب
سراويله تلك الحزمة الملفوفة بالورق البني اللون ،
وكان سريع الخطو خفيف المشية ، ورأوه ينطف
في الشارع المجاور

وأجبه مستر بكوك إلى رفاقه قائلاً : « يظهر في
جلاء أنه رجل كثير الأسفار والتجوال في الممالك ،
وأنه دقيق للملاحظة ونبق الخبرة بطبائع الناس
والأشياء . »

وأجاب مستر سند جراس : « كم يشوقني أن
أرى ما حمته ! »

وقال مستر ونكل : « وأما كم أود لو أني رأيت
ذلك السكب »

خنجره ، وجرح الفتاة في كعفها ، وهو ما فعل ذلك إلا على سبيل المداعبة لحسب . ومع ذلك فقد كان هذا الفتى الظريف أول من حضر إلى الحانة في الصباح التالي ، حيث أعرب عن استعداده لقتاسي الحادث كأن لم يكن هناك شيء .

واستمر مستر بكوك يصف المدينة قائلاً : ويخيل إلى أن التبغ يستهلك في هذه المدينة بكثرة هائلة ، وأن تلك الرائحة التي تملأ شوارعها ليستسيغها ويستعمرها أولئك الذين اشتد ولوعهم بالتدخين . وقد يأخذ السائح الغرير على المدينة وضواحيها ما يراه من قذارتها ، تلك القذارة التي تعد أظهر صفاتها ؛ بيد أن هؤلاء الذين يرون في تلك القذارة علامة الحركة ودليل النجاح التجاري ، يرتاحون ، لا ريب ، إلى ذلك المظهر . وحضر ذلك الغريب عند الساعة الخامسة وهو الموعد الذي حدده . وما هي إلا برهة حتى أحضر الطعام . ولم تك مع الرجل تلك الحزمة الملفوفة في الورق البني ، ولكنه لم يغير شيئاً من هندامه ، بيد أنه عاد أكثر ثرثرة ، إن كان هذا ممكناً فلما رفع الغلام غطاء أحد الأطباق تساءل الرجل : « ما هذا ؟ »

وأجاب الغلام : « هذا سمك طرى ياسيدي » — « سمك طرى . آه ... سمك عظيم ... يرد كله من لندن ... أصحاب عربات الرحيل يأتون بولاثم سياسية ... عربات نقل ملأى بالسمك الطرى ... عدد من السلالات ... قوم ماكرون . كأس من الخمر ياسيدي »

وأجاب مستر بكوك قائلاً : « بكل سرور » وشرب الرجل من تلك الخمر أولاً مع مستر بكوك ، ثم مع مستر سند جراس ، ثم مع مستر

ولم يقل مستر تومنان شيئاً ، ولكنه كان يفكر في دونا كريستينا وفي النافورة ، ومن ثم فقد امتلأت عيناه بالدموع

وبعد أن احتجز هؤلاء غرفة جلوس لهم ، وخبروا غرف نومهم ، وأمسروا بأعداد ما رغبوا من طعام ، خرجوا من الفندق بلقون نظرة على المدينة وما يحاورها

وإنما لا نجد فيما أنبت مستر بكوك في دفتره عن المدينة وما حولها ، ما يشعر بأن ما تركه مظهرها من أثر في نفسه يختلف في شيء عما كتبه غيره ممن زاروا تلك الجملة ، ومن السهل أن نوجز وصفه فيما يلي :

« يتبين لي أن أهم ما تنتجه هذه المدينة وجاراتها ، هو الجند والبجارة واليهود والطباشير والجبري والضباط وعمال الموانئ ، وأن ما يعرض عادة للبيع في شوارعها العامة لا يمدو الواردات البحرية والتفاح والسمك الطرى والجند إلى . وتقع الأعين في تلك الشوارع على مظهر بهيج حتى ، يكون مبينه في الغالب مسرح الجند وزباطهم إذ يتجمعون . ولعمري أن مما يبهج نفس كل امرئ سحى اليد يحب معاشره الأصدقاء ، أن يرى هؤلاء الرجال الغطاريف يعوج بعضهم في بعض ، بفعل ذلك الفيض الحماسي ، ترسله حبة الأجسام والأرواح ؛ ويتجلى ذلك على الأخص ، إذا ذكرنا ، أن السير في إثر هؤلاء ومشاركتهم في مزاحهم ، شيء منة رخيصة بريئة للعامة ، فليس هناك من مظاهر الانبساط ما يفوق انبساط نفوسهم ورقتها . حدث قبل مجيئي بيوم أن أهين أحدهم إهانة بالغة في حانة عامة ، فلقد أبت ساقية الخمر أن تعطيه من خمرها زيادة على ما أخذ ؛ فكان جوابه على ذلك أن استل

الغلام تاركاً الجماعة يستمتعون براحة تينك الساعةتين اللتين تعقبان الغداء.

وقال الرجل الغريب : « عفوا ومهذرة أيها السيد ... بقيت زجاجة ... أدرها ... وجهة الشمس ... أديروا الكؤوس واشربوها حتى الثمالة » ثم أفرغ كأسه وكان قد ملأها منذ دقيقتين ، وعاد فلاء في هيئة من اعتاد ذلك الفعل

وأدبرت كؤوس الراح وطابت مقادير جديدة ، وأخذ الغريب يتحدث وجاعة بكوك ينصتون . وكانت الرغبة في رؤية الحفلة تلح على مستر توبمان بين لحظة وأخرى ؛ وأثرب وجه مستر بكوك بتلك الصبغة ، وشاعت فيه تلك الحرارة التي يبعثها الاحساس العميق بالأخاء ومحبة الرفاق ، وأخذ النعاس كلا من مستر دنسكل ومستر سندجراس فناما ملء جفونهما

وقال الغريب : « بدأ الحفل في الطابق العلوى . اسمع أصوات الجمع ... تختبر القيثارات ... ثم العود ... لقد بدأوا ... » ولقد دلت الأصوات المختلفة التي وصلت الى أسفل البناء أن هؤلاء الراقصين قد بدأوا الشوط الأول وعاد مستر توبمان يقول : « كم أتمنى أن أشهد الحفل : »

وعاد الغريب قائلاً : « وأنا أيضاً كم أتمنى ذلك . امن الله ذلك المناع الثقيل . . . كتلة ضخمة . . . ليس لدى من الملابس ما أردتبه لأذهب الى البهو . . . موقف نكد . . . أليس كذلك ؟ »

وكان الاحسان والخير العام في مقدمة المظاهر الرئيسية في مبدأ جماعة بكوك ؛ ولم يكن نعمة فيهم من هو أشد ظهوراً في إخلاصه لهذا المبدأ من مستر

توبمان ، ثم مع مستر ونسكل ، وأخيراً مع الرفاق مجتمعين ، كل ذلك في مثل ما يتكلم من سرعة : « وراح يسأل خادم الفندق قائلاً : « جلبة شديدة على السلم يا غلام ... مقاعد صاعدة الى أعلى ، نجارون يهبطون الى أسفل ... مصابيح ... كؤوس ... قيثارات ... فيم كل هذا ... ؟ »

— « للرقص يا سيدي »

— « اجتماع ؟ »

— « كلا يا سيدي ، ليس هو اجتماعاً يا سيدي ، هو حفل من أجل عمل من أعمال البر يا سيدي » وسأل مستر توبمان ذلك الغريب في شوق : « أ يوجد كثير من الفانيات في هذه المدينة ؟ هل لك علم بذلك أيها السيد ؟ »

— شيء فاخر ... مراكز رئيسي . . . كنت أيها السيد ... كل امرئ يعرف كنت .. تفاح .. برقوق ... خمر ... نساء ... كأس من الخمر يا سيدي . »

وأجابه مستر توبمان بقوله : « مع عظيم السرور يا سيدي » ثم ملأ الرجل كأسه وأفرغها ثم استأنف مستر توبمان حديث الرقص قائلاً : « كم أتمنى لو أتيح لي الذهاب الى ذلك المكان : كم أتمنى ! »

وتدخل الغلام بقوله : « تباع التذاكر في الحانة أيها السيد ، وثمن الواحدة نصف جنيه »

وأعرب مستر توبمان ثانية عن رغبته الشديدة في مشاهدة ذلك الحفل ، ولكنه لم يجد أى رد في عيني مستر سندجراس ، ولا في حلقه مستر بكوك الفارغة ، أكب في لذة عظيمة على الشراب والحلوى وقد وضعا إذ ذاك على المائدة . وانسحب

الى النعاس ، قد أخذت تدب الى حواس مستر بكوك . وكان هذا السيد ، قد تقلب في تلك الدرجات التي تسبق عادة الخمود الذي ينل الأكل وما يلحق به . أخذ يهبط من قمة الانتشاء الى أعماق البؤس ، ويصعد من أعماق البؤس الى قمة الانتشاء ، فكان بذلك كمصباح الغاز في الشارع . لم تنكس تهب الريح على فوهته حتى كان كالمصباح ، انبعث منه أول الأمر وهج شديد اللعان ، ثم ما لبث أن خفت حتى انحسبه قد انطفأ ، وما هي إلا برهة حتى انبثق نوره ثانية ليلتصع لحظة ثم عاد فارتعش ذلك النور واضطرب حتى انطفأ في النهاية . ومال رأسه فاستند الى صدره . ولم يك ثمة شيء مما تستدل به الآذان على وجود ذلك الرجل العظيم ، سوى ذلك الشخير المتتابع ، تقطعه بين آونة وأخرى حشرجة طفيفة .

وكانت قد اشتدت في تلك الآونة رغبة مستر توبمان في أن يشهد بهو الرقص ويرى لأول مرة مقدار ما يتركه جمال غادات كسبت من أثر في نفسه . كذلك اشتدت رغبته في أن يصطحب معه ذلك الغريب ، فهو لم يسبق له علم بتلك الجهات ولا بساكنيها . على حين يتخيل إليه أن ذلك الغريب يعرفها كأنه عاش فيها منذ نعومة أظفاره .

وكان مستر ونكل يقط في نومه ، وكان صديقه مستر توبمان يعرف معرفة خبرة ووثوق مما شاهده من أمر صاحبه في مثل تلك الأحوال أنه إذا استيقظ من نوم كهذا ، فإذ يكون ذلك حتى في الأحوال العادية إلا لكي يلقى بنفسه على سريريه . وصاح ذلك الغريب الذي لم يعرف التعم برفيقه قائلاً : « إملأ كأسك وأدر الخمر » .

وفعل مستر توبمان ما طلب إليه . وكانت تلك

تراسي توبمان . وإنك لتجد فيما أثبت في سجل الجماعة من مواقف ذلك الرجل الفذ ما لا يسهل تصديقه ؛ وفي تلك المواقف ترى هذا الرجل يفتدق مبرانه على بقية الأعضاء ويعد إليهم يد المساعدة

وقال مستر توبمان لذلك الغريب : « إنه لما يسعدني أن أعطيك من ملابسي ما بقي بقرضك ، ولكنك تبدو نحيفاً على حين أرى ... »

— « إنك بدني ... باخوس إله الخمر الشاب ازداد بدانة ... قطع أردانه ... ترجل من فوق برميل ... يرتدى سترة ضيقة من الصوف تلتصق بجسمه ... ها ... ها ... أدر كؤوس الراح »

وايت شعري هل امتعض مستر توبمان بمض الامتناع لتلك اللجة التي طالب بها إليه ذلك الرجل أن يدير الخمر التي ما لبث أن عيها ، أم أنه وقد رأى عضواً من أعضاء جماعة بكوك يشبهه بباخوس المترجل ، قد أحس في ذلك تشهيراً به وتمريضاً شنيعاً ؟ ذلك أمر لم يتبين بعد . ناول الغريب الخمر وتكاف السعال مرتين ، ووجهه إلى الرجل نظرات صارمة حادة استمرت عدة ثوان ، ولكنه لما رأى من ثبات ذلك الرجل وهدوئه ما رأى على الرغم من تلك النظرات لم يبدأ من أن يستردها شيئاً فشيئاً وأبى يعود به إلى حديث الرقص فقال :

« أردت يا سيدي أن أقول إنه إذا كانت ملابسي لا تلائمك لشدة وسعها ، فإن ملابس صديقي مستر ونكل ربما كانت مناسبة » .

وقاس الرجل بعينه ملابسي مستر ونكل وانبسحت أسارير وجهه وهو يقول : « إنها عين ما أريد » وتلفت مستر توبمان حوله ، فرأى أن الخمر التي سافت صديقه مستر سندجرامس ومستر ونكل

الحرفين (P. C) على الجانبين^(١) . وتساءل ذلك الغريب « P. C. ؟ ماذا ... منظر غريب ... صورة ذلك الرئيس و P. C. ماذا تمنون بدينك الحرفين ؟ أتريدون بهما « Pebuliar Coat »^(٢) ؟ وراح مستر توبمان يشرح للرجل في امتعاض شديد وفي زهو وترفع ذلك اللغز الخفي

وأخذ ذلك الغريب يقول وهو يدور على عقبيه ليرى نفسه في المرأة : « تبدو قصيرة عند الوسط ... أشبه بستره رجل البريد العام ... حلال غريبة تلك الحلل ... صنعت بلا قياس ... نجىء معكوسة ... وتلك من غفلات القدر التي لا تفهم ... كل من طالت جسومهم تكون حللهم قصيرة ، وكل من قصرت أجسامهم تكون حللهم طويلة »

وفي أثناء تلك الثثرة ، أصاح الرجل وضع ملابسه ، أو على الأصح ملابس مستر ونكل ، وسار في صحبته مستر توبمان ، فصعدا السلم إلى بهو الرقص وسألها الرجل الواقف بالباب « ما اسمكما أيها السيدان ؟ » . وهم مستر توبمان أن يتقدم ليرسم الرجل القايه فخال صاحبه بينه وبين ما أراد

« لاندكر أسماء قط ... » ثم هس في أذن مستر توبمان بقوله : « لا قيمة للأسماء ... غير المعروفة ... أسماء حسنة جداً في ذاتها ولكنها ليست عظيمة ... أسماء لها قيمتها في جمع صغير ، ولكن لا يقام لها وزن في حفل عام ... قل : رجلان من لندن ... غربيان من ذوى المسكاة ... أى شيء » .

وفتح الباب على مصراعيه وتقدم مستر تراسي توبمان وذلك الغريب فدخل بهما الرقص (يتبع)

السكاس الأخيرة كأنها حافر جملة بمقد التبة على تنفيذ ما اعترم . ثم أجه الى صاحبه قائلاً : —

« تقع الحجرة التي سينام فيها مستر ونكل داخل حجرتي ، وأنا لا أستطيع إذا أبطلته الآن أن أفهمه ماذا أريد منه ؛ ولكنني أعرف أن عنده حلة كاملة في حقيقته ، فإذا فرضنا أنك ارتديتها وذهبت بها الى البهو ، ثم خالمتها بعد عودتنا ، فإني أستطيع أن أضعها في مكانها دون أن أزججه الآن أو ألقاه »

« فكرة صائبة ... حيلة فائقة ... موقف نكدامين ... أربع عشرة حلة في ذلك المتاع الثقيل وأراني مضطراً أن ألبس ثياب رجل آخر ! ... فكرة حسنة جداً ، تلك الفكرة ... جداً »

وقال مستر توبمان : « يجب أن نشترى نذاكرنا »

— « أمر لا يحتاج أن نقسم الجنيه قسمين ... دعنا نقترح من يدفع للآخرين ... ألقى الجنيه على المائدة ... افه كما تلف المغزل بأصابعك ... أنا أقول إنك ستجد الوجه الذي رسمت عليه المرأة ... المرأة ... المرأة ... المرأة الساحرة »

وألقى الجنيه على المائدة وظهر منه الوجه الذي طبع عليه الفارس وقد سماه الرجل بالمرأة من باب التظرف ودق مستر توبمان الجرس واشترى النذاكر وطلب إلى الفساح مصباحاً أو شمماً يذهب به إلى الحجرة ؛ وبعد ربع ساعة كان ذلك الغريب يحظر في حلة مستر ونكل

وبينما كان الرجل ينظر إلى ثيابه في المرأة قال مستر توبمان : « إنها حلة جديدة ، وهي أول حلة صنعت تحمل زرار نادينا » . ثم وجه نظر الرجل إلى ذلك الزرار الكبير المذهب الذي طبعت في وسطه صورة وجه مستر بكوك ثم كل من تينك

(١) ما في الانجليزية الحرقان الأولان من تلك العبارة نادى بكوك (Pickwick Club) (٢) حلة خاصة

ومتكم وقد غرق القوم
في ثورة حادة من الجدل ،
والنساء قاتمت بتحدثن ،
وهناك متفرجة حسناء
تتحدث مع الأمير «

منظر وهيب

المتفرجة الحسناء ، الأمير ،
المتفرجون والمتفرجات ، وفي
المقدمة زوج تنصل الانجليز ،
وصديق الشاعر ثم مارسيلانوس
ثم أراجانتى فالأمير فالشاعر

المتفرجة الحسناء — كان ينبغي أن يبدأ

الساعة الثامنة ؟

الأمير — لتتحدث يا عزيزتي متأملين الأنوار

الساطعة

المتفرجة — (شاكّة) أبلغ من العبقرية

هذا الحد ؟

الأمير — هكذا يقال

المتفرجة — (المتفرجة تهجئ دون اسم عنوان

القطعة الجديدة على الورقة)

أبو الهول : كيف كانت مسرحيته الأخيرة ؟

الأمير — أجريشة ؟

المتفرجة — فوق ما يتصور

الأمير — أبلغت جرأة لا يستطيع إخمادها .

فكرى في أن ليس فيها مكان ناء ، على أننا هنا

جالسون في مكان ملائم كل اللامعة

المتفرجة — وماذا يقولون من القطعة بالاجمال ؟

الأمير — لا أدري (بصوت منخفض) يتكلمون

عنها كثيراً بالسوء ! ينبغي أن يتحدث عن

ضمف القطع قبل تمثيلها خشية أن يكون بمدى ...

متفرجة أخرى — أنظروا الدوقة ، كانت

سيرة أبل الهول

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفرنسي ماري ريسان

بقلم الأستاذ خليل هنداوي

الأشخاص

- | | | |
|------|------------------|-------------------|
| ١ — | باريس إيجلان | : شاعر في إيطاليا |
| ٢ — | مارسيلانوس | : شقيقه |
| ٣ — | أراجانتى | : مدير المسرح |
| ٤ — | الأمير | |
| ٥ — | صديق الشاعر | |
| ٦ — | الحامد | |
| ٧ — | الدوق لوجانو | |
| ٨ — | فتى عاشق مصري | |
| ٩ — | أبو الهول | |
| ١٠ — | إيزابيلا موني | : تمثلة إيطالية |
| ١١ — | فتاة مصرية | |
| ١٢ — | سانتيا | : أخت الشاعر |
| ١٣ — | فتاة عاشقة مصرية | |
| ١٤ — | الحسناء المتفرجة | |
| ١٥ — | الكاتبيلي | |

(أخرى حوادث المسرحية في إيطاليا ثم تنتقل إلى مصر أخيراً)

الفصل الأول

الجزء : أمسية تمثيل في روما في المسرح الكبير
الحالي وقد ظهر قسم من الهول تشرف فيه المقاعد
الأمامية واللوج المواجه للفصل ، الستار لا يزال
صرخى ، هذا مساء يتكرر فيه تمثيل مسرحية
« أبل الهول » للشاعر الإيطالي « باريس إيجلان »
وخلال ذلك يكون المتفرجون بين قاعد وقائم

الأمير - (بهزء) بدور أبي الهول ، لاريب ؛

أخرى - إنها الغريبة الأطوار

المتفرجة الحسنة - إنها تنزه فرداً

الأمير - كأنما تريد أن تظهر بحبث كيف

تقبض دوماً على القرد الذي يُدعى رجلاً

المتفرجة - إن لها حفلات راقصة أشد هياجا

من مواطن الفحش والمريضة

أخرى - على أنها تؤثر على كل شيء قبس

أنوار الشموع

الكاتبيللى - وهل أنت على ثقة بأنه عشيقها ؟

متفرج - من ؟

الكاتبيللى - وهل عندك شك في ذلك ؟ هو

باريس إيجلانو . وهذا سبب الفهم الآخذة

في النمو

أخرى - إنها لا تمثل إلا الأدوار التي

تخرج منه

أخرى - وطالما اعترفت بذلك من قبل

متفرجة - ولكنها بارفيقتى كانت مخاطبة

في فينيس في شهر يونيو الأخير - بلهجة القرد

أمام أصحاب الزوارق

أخرى - لوشت لأصبحت شهيرة الالم غدا

أخرى - إن لها كلاباً سلوقية ، وتخرج

شبه عارية

الأمير - ليس هذا بالرائع كشيء غريب ،

فاصفحوا عنها عاجلاً لجلالها ، واصفحوا عنها سريعاً

لظرفها الذي يتلأأ حولها حيث خطرت ، في ذلك

النهار ، في القصر . . .

المتفرجة - في « السوقونيسيا » . . .

الأمير - نزلت شاحبة الوجه بعشية تقبعتها

عليها « بيأريس » وتحسدها « لورا » نظرنا إليها

بالأمس بردائها الأزرق ، وفي هذا المساء برداء

حالك اللون ، لونه الغريب يذرى بالسواد ، وانظروا

قربنة القنصل (تظهر بينهما شخصان)

مدعو - أمى جميلة ؟

الأمير - كزينة تهوى عليها أنظار الرجال ،

تستوى وتنسكى ، على أصابعها ذات الخواتم البراقة

متفرجة - (سخرية) كل هذا - دائماً -

من أجل باريس إيجلانو !

حسود - يا لحظه !

الأمير - وهل أنت آسف على ذلك ؟

الحسود - إننى أنتظر . يجب أن ينتهى ذلك

يوماً : السكل ينتهى من نساء ، من محب ، إزاييلا

موتى ، إن في حوزته كل شيء .

الأمير - ولكن ليس لك إلا أن تعمل عمله ،

قابلق القلوب فنهزها . إن هذا ليس بمسير

الحسود - أنظر ! لا مقعد فارغ ! إنه ترك

المدينة تأتى إليه سميماً ، والناس كلهم منتشرون

إزاء الستار

الأمير - ولكنى لا أراك في المقدمة ،

وأجدك مولياً ظهرك للستار

الحسود - ذلك خير !

الأمير - ماذا تنتظر أيها الصل الرقيق

المعس !

الحسود - أرجو أن أرى رواية أخ من

إخواننا يصفر لها الناس صفير استهجان !

امرأة - ما هذا التخلف !

أخرى - يجب أن تكون « إزاييلا موتى »

سبب هذا التخلف ؛ ومعها يتكرر دائماً هذا

التخلف

أخرى - وبأى دور تقوم ؟

الصدق — إنه كثير الإيمان بنفسه وذلك ما يبحث على القلق .. ثم ما ذا تقولون ؟ إنها ليست من المرح على شيء . آه لو يهجر هذه الأنواع موجهاً عبقرته إلى مواضيع أكثر وجاهة . لو فعل ذلك لضمن له الفوز دون شك . قلت له ذلك مراراً ، وأعدت عليه القول تكراراً فلم يذعن : على أن عندي مواضيع المسرح كثيرة . وما عليه إلا أن يكتب ويتوجه إلى الناس بما يفهمونه : فن حب متواضع ، ومن مفاجآت ، ومن لحظات روحية ، أو من ضحك يؤول القليل منه إلى بكاء ؛ وأخيراً النموذج الذي ينطوى على كل شيء مما يعاد تمثيله مئات المرات . ولكنه يأتي الأذعان لرأيي ، والشعب مهما ارتقى لا يزال مفتقراً إلى أن نساياه ؛ أما أن نقص عليه تاريخه فهذا كثير : أما مسرحياته فلا بطل لها سواء ، وفي هذه المرة أيضاً . . . فتى — (يدنو منه)

هل تعرف القطعة ؟ وما مأخذك عليها ؟

الصدق — كآبتها

امرأة — (بخيرية) حقاً ؟

الصدق — لقد أراد — وأضحكني منه ذلك — أن يمالج أكبر مسألة في الوجود ، وهي مسألة الموت . والمسرح يفقر من مثل هذا . ولقد يهين شعباً من يريد أن يحمله على التفكير . المسرح يفقر إلى عمل ، وخصومة وسارقين . ولا يستطيع أحد أن يؤلف قطعة بقلبه وحده

امرأة — من يدري ؟

الصدق — العمل المسرحي هو الشرط الأول : أنثقون بي ؟ إنه ناقضني : وبدلاً من أن يعتمد على رواية جديدة لبث يعطينا ما يرضى عنه مقياسه الخاص جاءلاً من المسرح مكان اعتراف ، معتقداً

بمئين تلونت ، ونظر بعضنا بعضاً ، وقد غشيت وجوهنا كذلك صفرة . كم كانت جميلة ! أخيل البنا أن وجهها الذي غاض منه الدم رخام شفاف فهمس أحداً : إنها « ديانا » . وقال الآخر : « إنها آريانا » وهكذا كانت تمشي الأسماء حولها وتعالى وتنخفض كأكليل متوهج ، وللجمال أسماء متعددة ، أما هو فواحد !

الكاتيللي — (مكتفة على مقعدها تقرأ العنوان بدون اكتراث على صفحة البرنامج) أبو الهول ؟ إنني أحب هذا العنوان ؛ إنه يمثل لي النواويس القديمة ، السماء الزرقاء ، الصحراء . . . هل تعرف مصر ؟ (يتذبح صوتها في الضوضاء)

الأمير — (وقد لمع مغرماً جديداً) وهذا صدق حليم للشاعر . . .

المتفرجة — هذا الأشقر :

الأمير — إنه سيحدثنا منه عن السوء الذي زبده

المتفرجة — صديقه ؟

الأمير — حقاً ؛ إليكم هذا القانون : إذا كان

لنا من يفضنا فهم أخلاؤنا . لنناده . . .

صديق الشاعر — (غائداً) أنت ؟

الأمير — (يقدمه للحساء) صديق للشاعر

الصدق — سترون أن الشاهد الأول هو

خير الشاهد

الأمير — أحقاً ؟

الصدق — (متنبهاً) والثاني

الأمير — تنهدتك فيها نبي ، وهل أنت

وائق بالفوز مع ذلك ؟

الصدق — أريد أن أوثر به ولكن (يتنهد)

(ثانية)

الأمير — وهذه فيها قلبي . . .

إنك لا تفكر إلا في المال من حيث لا يفكر
إلا في الفن .

الحسود — (مخاطباً المتفرجات اللاتي يسألن عنه)
شقيق المؤلف .

مارسيللوس — ولا ينظر إلا إلى الجمال العميق
البعيد الغور . المجد عندكم مجرد مدح الناس و إعجابهم
ودعواتهم وأوسنتهم ، ولكن المجد — عند قلبه
الذي يجهل دموعكم — هو ملكة مختلة تخاطر حافية
إن ما يريد ليس بذلك الفوز الزائل الذي يهتز له
ضحكا جلاسا المواقع الأولى ، ولكن ما يريد
هو الشموخ القوي المنيف بخفقات القلوب بحجب
خفقات قلبه بسمو ورفعة ، وهو إنما يهرب عن
النفس الانسانية إذ يهرب عن نفسه ، ويرى أن
تحقيق الظفر للقطعة يوجب عليه أن يحررها بقلبه ،
كل ما يتكرونها يتكروه ذوق متصنع متكاف على
أن أكبر أثر هو تضحية كبيرة !

(يندحب)

الصديق — (هاراً كفيفه) إنه وهم باطل ينتهي
بالحرق ! سئى . لتحدث عنه بعد ثمانية أيام .

الحسود — إن مارسيللوس أخوه

آخر — ولهذا يتجشم مئونة الذود عنه
كراهب فتى يتأثر حين يشتم ربه

الأمير — إن له صيحات حسنة

متفرجة — وله عينان جميلتان ؛ وقد زاد
عنه بشدة

الصديق — يمثل هذه الحماقات يحشو المجهنون
به أذنيه

الفن : الجمال ! كل هذا لا يساوى قطعة حسن
حبيكم تمثل عاماً

(ثلاث ضربات)

أنه يجب قبل كل شيء أن يحيا في مسرحياته . إنه
اتخذ وسيرى سام الشعب منه . وإني للى يقين
من أن هذا ليس بنتاج مسرحى !

(مارسيللوس اخلائو يدنو رويداً رويداً وفد شعرانهم
يتكلمون عن أخيه ، ويخاطب هذا الصديق)

مارسيللوس : هذا أنت لا تنطق بلهجة واحدة
الصديق : ليكن ؛ إن له ابراعة ، ولكن
بإمكانه أن يكون أكثر فوزاً

مارسيللوس — (بعجته) الفوز ! هذه هي كلمة
طرحتها ، إنه ليحصل عليه لأنه لم يتجرعه كثيراً ،
على أننى ما كنت لأحقر الفوز من أجل إرضاء
رغبة ، لأن — هنالك — فوزاً وفوزاً ، ولقد
نظرت آثاراً كثيرة قوبلت بصفير الاستهزاء ،
أو بتصفيق الإعجاب ، ولكن أحداً لم يخضع
بقيمتها ...

الصديق — ولكن ...

بارسيللوس — ليقف عند هذه الكلمة ،
كلمة الفوز ، فكما كانت الكبرياء مصونة كان
الفوز أكبر ، فالشاعر ، بالرغم عن نفسه يستجى
من الضحكة الرئانة الناشئة عن حركة رائمة منه ،
فهو إذا لم ينفمس إلا في نفسه ولم يتخذ للتخليق
إلا أجنحته ، ولم يفكر في الناظرين إليه من أبناء
الأرض ، إذا لم يفكر إلا في تخليقه وحالة نفسه التي
يمر عنها ، وإذا لم يمد يري — بعد انتهائه من
الصعود — إلا الفج ، فإن كبرياءه — اذذاك —
كبرياء المشرقة تستطيع أن تنتخب حظها وأن
تشكل باهجة عالية قائلة : ليقبل إلى المجد قائماً
لا أر حل نحوه ...

الصديق — أجل ! إننى أعلم ...

مارسيللوس — صه ! أيها المفسر المرائى !

وقلبك الرحب جملة صعباً مع نفسه إلى مثل هذا الحد ، ألا يجدون في إحجامه من تقديم القطعة ؟ ألا تحسون في شكه وقلقه كل هذا الثمن الذي أعده لكم أيها السامعون ! يجدر بنا أن نؤمن به في اللحظة التي يشك فيها من نفسه وهذا حقه الجماعة — كان ينبغي عليه أن يعلمنا من قبل ...

ليأت إذا ... ليطلع علينا !
(يظهر باريس يخلطو خلف المدير ... صغير وصراخ ...)
باريس — (بصوت شديد وعلى وجهه صفرة)
ها أنا ذا يا شعب روما ! يا نقاده ويا كتابه ،
يارساميه وفنانيه ورجاله ! ويا أسدقائي البعثين في
هذا الخضم الواسع ، ها أنا ذا إذا شئتم أن
تصغروا لي ...
الجماعة — ما هذه المجازفة ؟

باريس — يجب أن آتي ، لا يفر أحد من
هذا المكان غيري ! أنا ألفت الرواية وأنا حلت
دون تمثيلها ، وإذا أردتم عرفان السبب فاصفوا
إلي ...
الجماعة — كفى ... لماذا ؟

باريس — جئت بنفسى معترفاً ! اسمع لي أيها
الشعب الذي أحبه ! ألم أقاسمكم بالفرد السكافي
أعشار فؤادي لقاء ترحيب — منكم بي — أقل
هزماً وسخرية .
الجماعة — ذروه يشكلم !

باريس — ألم أحببكم — بدون انقطاع —
عموداً ووفيتها ، ووعداً وأنجزتها ؟ ألم أطلب
اليكم الكبرياء التي تتمسكون بها ؟ اسمعوا إلي : إن
الرواية روايتي ، قد أودعتها كل همسات حياتي ،
وفصلت لها جناحين من تهدياتي
الجماعة — حسناً :

الحسناء — آه ! ثلاث ضربات ... لنفزع
إلى مقاعدنا !

(يشق الستار لمدير المسرح)

الجماعة — أخطاب ؟ ما هذا ؟ المدير ذاته ؟
ولكنهم ضربوا ثلاثاً . ليتكلم ! ولنتظار !
المدير — معذرة ياسادتي و— يداي ،
لا أستطيع الشكلم إذا قاطعتموني
الجماعة — كفى ...

المدير — إن مأساة الشاعر الكبير لن تقدر
على تمثيلها هذا المساء
الجماعة — ماذا نقول ؟
المدير — اسمعوني قليلاً واعتصموا بصبركم !
الجماعة — نريد « سر أبي الهول » . مهما ذهب
الأمر

المدير — اسمعوني ، اسمعوني بلطف ! إن تقدر
على تمثيلها لأن صاحبها حال دون ذلك
الجماعة — المؤلف ... لا يمكن ذلك
المدير — المؤلف نفسه نقح فيها
الجماعة — المؤلف ... المؤلف ... كفى ...
أيها الكذاب ! أيها اللص ! أيها الأثيم !
المدير — اسمعوني قليلاً ! وأنا وافقت على
إرجاء تمثيلها لبوادر القلق التي رأيتها تغشي وجهه ،
وإنكم لتشفقون عليه كما اشفقت أنا . إنه المؤلف ؛
وإنه أيضاً الصديق الذي أحبه
الجماعة — آه

المدير — إن روايته الأولى مثلت هنا على هذا
المسرح ، وقد كانت حائزة لا محاب القوم ، ولم يزل
في أثناء الستار وإطوائه تصفيق نثار ، ألسنا مدينين
له بكثير من الساعات الطويلة ؟ فلنسمح له بها عن
هذا التردد ، إن حبك أيها المدينة وهتافك وإعجابك

باريس - قضيت ثلاثة أعوام منكباً خلالها على نظمها ، وقد صبغت أوراقها بدم غير منظور ، ثم كانت إعادة تلاوتها على أوراق تجمدت ، ثم جاءت تزيينها ، ثم تنأت لحظات الشك والريبة . وقد وجدت كل مساء خلال استسلامي لأحلامي أن هذا الأثر القلبي الذي كنت أعبدته أخذ يتلاشى ، وكلما وافت المأساة وقتها المحتوم أصبح حلمها الذي انتهت به قاسياً عندي ، وأصبحت أشعر في ساعة بأسى العنيد أن عرضها عليكم وتقديمها إليكم ضرب من المحال .

الجماعة - إنه لمعتوه .

باريس - لا ، أنت مجنون ولا بي عته ، اصغوا إلي . أؤكد لكم أنكم موافقون على رأيي ، وتدركون كيف التهمني « أبو الهول » . إنني أنزلت في هذه القطعة الغريبة قلبي ، قلبي كله ، معتقداً بأن الشاعر الذي لا يضع قلبه في عمله يأتي عمله ناقصاً . ما كنت لأشك في هذا من قبل ، ولكنني فهمت بعد لأي أي حد بلغ إغراقي ! ورأيت أن ستاراً خفياً يجب أن يحيط بالمشهد حينما ينطوي على حياة إنسانية

الجماعة - الرواية : الرواية

باريس - (بدمول) إنها لن تمثل !

(الهياج يزداد) إنني أبصرتها - كما تراهي لي - تنهض من تحت قديمي ، ورأيته تولد وتحيا بوجهها الحقيقي . وأدركت أن تقديمها إليكم بعد جريئة . وقد فهمت الممثلة التي تقوم بها ذلك : وغاب ترددني العزيز على نفسها . افهمني أنت أيها الشعب وأسكت قليلاً حب الاطلاع في نفسك عارفاً بأنني كنت دائماً تلك القيثارة التي كانت ترجع أنشودتك القائمة ، وكنت الصدفة الواحدة التي

تنهاس فيها أمواجك

(يصمت دقيقة بادياً عليه التأثير مودعاً شعبه)

إنني راحل : وهذا وداعي أردده في هذا المساء : فلا روما ولا سماؤها يستطيعان أن يلهجاني . وداعاً أيها الأصداء المتجاوبة من هذا الناووس الشهير : أريد أن أرى « أبو الهول الحقيقي » في مصر حقيقة . لن نسمع - أيها الشعب - بعد اليوم اسمي ولا أُناتي .

أقول وداعاً ...

الجماعة - كفي ... الرواية يريد أن نراها ...

هات أبو الهول .

باريس - ليس من حق إنسان أن يحطم بالقهر نفسه ! لا لا : لن تروا منها شيئاً برغم إلحاحكم ! إنني صمت - أقول - صمت إلا أنني أريد ذلك ، وازدريت الكتابة وتنحيت عنها لأستطيع الخوض في لجج الحياة ، وجئت لكي أحطم قيثارتي أمامكم ! إنني لن أكتب شيئاً بعد اليوم ! الجماعة - القطعة ... ولنذهب أني ذهبنا ... يريد أن نراها .

باريس - (فاذفاً بأشيرة من الورق) إليكم القطعة ...

الجماعة - آه

باريس - هذه هي روايتكم التي أضمتها بكبريائي وكآبتي ، وهذه هي النسخة الوحيدة الباقية في الوجود . أنظروها وروحوا من بعيد ربح أيائنها التي لن تعرفوها . وداعاً ! يا فقص الف من الأشبال من غير حديد ولا تشباك ... إذا أردتم قلبي فدوونكم قطعاً منه وفلذاً ممزقة ...

(يمزق الأوراق ويقذف بها وجوه السامعين)

(يهبط الستار)

(الفاعل الثاني في العدد القادم) منبل هندي



من أعماق النفوس



اعتراف فتى العصر

لألفريد رى سوسيه

بسلام الأستاذ فليتكس فنارس

(تابع)

بها كل مذهب ، لما جاءت إليك مقتحمة صدودك
وهي تعلم أنها مجرمة وقد اعترفت بجرمها .

لأريب في أنك ستأسف على هذه الليلة لأنك
لن تقع بعد على مثلها .

وكان ديجنه يقول هذا بكل ما فيه من قوة
العقيدة وبرود الاختبار ، فكنت وأنا استمع إليه
أحس بارتماش في جميع أعضائي وبحافز يهيب بي
إلى الذهاب لتقابلة عشيقتي أو الكتابة لاستفدائها
إلى ، ولكنني لم أكن قادراً على النهوض من
فراشي ، فوفرت على نفسي التعرض لشاهدتها
تنتظر خصمي ، أو لأرى بابها موصداً عليه وعليها ،
ولكنني كنت قادراً على توجيه رسالة إليها ،
فكنت أفكر بالرغم مني فيما سأخطبها به

وما بارحتي ديجنه حتى شعرت باضطراب شديد
دفعني إلى التفكير في وضع حد لهذه الحالة مهما كافي

إذا كان هذا هو الحب عندك ، فأني أشفق عليك .
فقال (ديجنه) إنه ما أحب إلا نساء الموابخ فهو
لا يدقق في مثل هذه الأمور . وأضاف إلى ذلك
قوله : إنك لم تزل فتياً ، يا أوكيتاف ، وتريد
الحصول على أشياء كثيرة تنطبق على ما تتوهم ،
ولكن هذه الأشياء لا وجود لها ، فانك تفتقد
بالحب ، بل بنوع غريب من الحب ؛ ولعل لك
ما يملك قادراً على الشعور به ، غير أنني لا أعتنه لك .
إنك ستستمتع بخيالات غير هذه الخيلة باصديقي ،
فتأسف لما فعات الليلة الماضية ، إذ لأريب في أن
هذه المرأة كانت تحبك عند ما جاءت إليك ، وقد
لا تحبك في هذه الساعة ، ولعلها الآن بين ذراعي
رجل آخر ؛ غير أنها في تلك الليلة وفي هذه الغرفة
كانت مولعة بك ، فإذا كان يهلك من الدنيا ؟ لقد
أفقدت نفسك ليلة من ليالي العمر وسوف بشجيك
ذكرها لأنها مضت ولن تعود

إن المرأة تغتفر كل اساءة ، ولكنها لا تنسى
ذنوب من تهرع إليه فيردها ، ولو أن الغرام لم يذهب

اختيار مسلك لي ، وإذ لم يقف ذوقى عند واحد منها ، أطلقت لمحياتي العنان ، فشعرت فجأة كأن الأرض تميد بي ، وكأنني لمست القوة الخفية العباء التي تدفع بهذه الكرة في الأجواء ، فجيل إلى أنها ترتفع نحو السماء وأنا عليها كواقف على مركب يختر العباب وتراءت لي شجرة الحور كصار لهذا المركب ، فتراجعت عن مستندي ومددت ذراعي هاتفا : أية أهمية لمسافر لا يمضي إلّا حيناً من الزمن على هذا المركب ، فما هو الانسان ، ما هي هذه النقطة السوداء على ظهر هذه العائمة النائية في الأثير ، أفليس حسبي في الحياة أن أكون إنساناً ، لا ، إنني أريد أن أصبح رجلاً له صفته الخاصة وطابعه الخاص

ذلك ما تمنّيته أمام الطبيعة ، فكان رجائي الأول وأنا ابن أربعة عشر ربيعاً ، ومنذ ذلك الزمن لم أقم بأى عمل إلّا إطاعة لأمر أبي ، ولكنني ما تمكنت يوماً من التغلب على طبيعتي المتعددة . لم تكن حريقتي إذا بنت كسلي ، بل كانت بنت عزيمتي وإرادتي ، وكنت أحب جميع ما خالق الله ولا أحب ما صنع الناس إلّا يسيراً ، وما كنت أعرف من الحياة سوى الحب ومن العالم غير معشوقتي ، فاكتفيت بما عرفت

خرجت من المدرسة ، فمشيت واعتقدت ببلد الاخلاص أن هذا الحب سيسود حياتي بأسرها ، وهذا الاعتقاد أزال كل ما سواه من تفكيري

وكنت أعيش منعزلاً فاقضى أيامي لدى عشيقتي وكان الذئبيء عندي أن أذهب بها إلى الحقول أيام الصيف فأنوسد المروج الناضرة إلى جنبها ، إذ كنت أجد في مشاهد الطبيعة الرائعة أشدّ مجد

الأمس ، وبعد نزاع عنيف تغلب الاشعثراز فيه على الحب ، كتبت إلى عشيقتي أنني لن أراها بعد ، وطلبت منها أن لا تحضر إليّ إذا كانت تتجأني أن أوصد بابي في وجهها

قرعت الجرس وسلمت الكتاب إلى خادمي لا يصله بلا إبطاء إلى البريد ، ولكنّه ما كاد يفلق الباب حتى ناديته فلم يسمع صوتي ، وما تجامرت أن أدعوه ثانية ، فسترت وجهي بيدي واستسلمت لليأس العميق

الفصل الرابع

وعند بزوغ الشمس في اليوم التالي ، كان أول ما خطر لي مناجاة نفسي بما يمكن لي أن أفعله بعد الآن

لم يكن لي مهنة ، وما كنت أتماطى عملاً ، لأنني كنت درست الطب والحقوق وبقيت متردداً بين احتراف إحدى هاتين المهنيتين ، ثم اشتغلت ستة أشهر في أحد الحرف غير أنني لم أوفق إلى العمل بدقة ، فتداركت أمرى بالاستعفاء قبل أن أطرد ، وكنت درست كثيراً ، غير أن علومي كانت سطحية ، وكنت أنسى العلم بالسهولة التي أتلقنه بها

وكان استقلالى أعز شيء على بعد الحب ، وقد تمسقت حريقتي منذ نعومة أظفاري

وكان والدي يخاطبني يوماً بشأن مستقبل عارضاً على مسالك عديدة للعمل فانسكأت على عارضة النافذة وحسدت بشجرة من الحور ممشوقة تتمايل في الحديقة مع الهواء وأخذت أفكر في

أن إغراقى فى تأثرى كان يحول كل إعجابى إلى آخر
شاعر عرفته ويدفعنى إلى كره سائر الشعراء .
وثابت على هذا المنهج حتى أنشأت من نفسى
مستودعا للمعاديات ، وكنت اغترفت من كل حديث
مجهول حتى بشتت فإذا أنا طال بال عليه شئ لم يزل
فى مهيع الصبا ، هو أمل هذا القاب فى طفواته .
ذلك هو أملى الذى سلم من كل وصمة ومن كل
فساد وسكب الحب فيه كل قوى الحياة ، فإذا
الحياة تصيبه بالجرح القاتل ومكر المشيقة يرميه
بأحد سهم وهو يطير فى أرفع أجوائه

وكنت أشعر أن فى نفسى شياء يتشجع فى
استرخائه كأنه طير جريح يحتضر . إن المجتمع الذى
ينزل الدوايح بأفراده لشبيه بالأفمى الهندية التى
تستقر فى الأعشاب الشافية لسماتها ، فأنت كثيرآ
ما تجد قرب الأدوية التى تسببها أنجع علاج لها ،
فالرجل الذى يتبع نظاما ينطبق على حالة المجتمع فى
حياته فيدين وقتا لأعماله ووقتآ لزياراته وميعادآ
لممارسة الحب .. لا يتعرض لأى خطر إذا هو فقد
من بهوى لأنه أخذ فى أعماله وتفكيره نظاما
وترتيبا كصغوف الجنود الهياة للكفاح ، فإذ سقط
جندى منها انكش الصف وقام آخر مكانه فلا
يشعر أحد بفراغ ذلك المكان

أما أنا ، فما كان لى ما ألتجأ إليه منذ أصبحت
وحدى ، فكنت أفق أمام الطبيعة وهى أمى التى
أحب فأراها تتسع حولى وترداد فراغا ، ولو أمكننى
أن أنسى عشيقتى كل النسيان لكنت نجوت

كثير من الناس يجدون الشفاء على أهون سبيل
لأنهم يصمدون للخيانة متغلبين على الحب الجريح
ولكن أنى لابن التاسعة عشرة أن يقتبس هذه

للقوى ، وفى أيام الشتاء كنت أذهب بها من برقص
إلى آخر ، وهكذا كانت تمر أيام حياتى متتابعة
دون أن أقوم بأى عمل

كانت جميع أفكارى متجهة إلى المشيقة التى
خدتنى ، لذلك رأيتنى عندما انتهت خداعها كأنى
أحيا ولا فكر لى

لا أجد ما أصور به حالتى النفسية سوى
تشبيهها بحالة مساكن هذه الأيام حيث تجد الرياش
مؤلفا من طراز جميع البلدان وجميع الأزمان ، فنحن
فى عصر لا طراز له لأننا لم نضع طابع زماننا لا على
مساكننا ولا على حدائقنا ولا على أى شئ لنا .
فأنت لتصادف فى الشوارع رجلا أطلقوا الحام على
طراز عصر هنرى الثالث كما ترى رجلا حلقوا
الذقون وآخرين أرخو شعورهم على زى أيام رافائيل
وسوام أرخوها على طراز زمن المسيح

وهكذا يخيل إليك أن مساكن الأغنياء
مما رضى فنون إذ تجد فيها الطراز القديم وطراز
عصر النهضة وعصر لويس الثالث عشر ، فلدينا
من كل عصر أشياء ولا شئ لدينا من عصرنا ،
وما شوهدت مثل هذه الحال فى أى زمن من قبل
فنحن نذهب مذهب التخيرين فنأخذ من كل ما
نجد ؛ هذا لجاله وهذا لموافقته للراحة وآخر لقدمه
وآخر لما فيه من القبح .. وهكذا نعيش على أنقاض
كأن العالم قد اقترب من الزوال

على مثل هذا كان تفكيرى ، كنت طالمت
كثيرآ وتعلمت الرسم وحفظت أشياء تراكت فى
دماغى بلا ترتيب فكان رأى كالسفنجة متضخما
على فراغه

وعشقت جميع الشعراء واحدا بعد واحد ، غير

فكنت أزفر قائلاً : — إن أترك سيمحي ، أيها الجرح الدامي الحبيب فأى بدم سأسكب عليك وما كان ترديد كرمي لهذه المرأة ليزيل تذكاراتها من كياني فكانه بقي يتمشي مع دمي في عروقي كنت ألعنها ثم أحلم بها . ومن له أن يقاوم الأحلام وأنت يحكم عقله في تذكارات قواها لحلم ودم ؟

عندما قتل مكبيت دوكانان هتف قائلاً : إن مياه المحيط ان تغسل يدي ؛ وأنا أيضاً كنت أرى أن مياه البحار كلها ان تغسل جراحي

وصارحت ديجنه بحالتي فقلت له : دعني وشأني ، إنني عندما أستسلم للسكوى أرى رأسها ملق على وصادق

ما كنت أحيأ إلا من أجل هذه المرأة ، فإني كنت أرتاب بها حتى ولو ارتبت بنفسي . فإذا ما لعنتها فكانني أجحد كل شيء ، وإذا ما فقدتها فكانني أرى الوجود بأمره مندراً خالياً

وقبعت في منزلي منعطفاً عن الناس ، إذ كنت أحسب العالم يفض بالمسوخ والحيوانات المفترسة ؛ وكنت أقول لكل من يحاول تسليتي : إن ما تقوله حق ، ولكن كن واقعاً من أنني ان أتبع نصحك وكنت أستاذ إلى النافذة وأقول لنفسي :

سوف تأتي ، لا ريب في أنها قادمة إلى ، لقد دارت بمنعطف الشارع . إنني أحس باقترابها مني . إنها لا تستطيع أن تحيا بدوني كما لا أستطيع أنا أن أحيأ بدونها . ماذا عساني قائلاً لها وبأى وجه استقبها ؟ وبينما أكون مستغرقاً في هذه النجوى كان خداعي يقاوم تذكاري فأهتف قائلاً : لا ، لا أريد أن تجي ، لا أريد أن تقترب مني ، فإني أقتلها

الطريقة في حبه وهو يجهل كل شيء ، ويشتهي كل شيء ، وهو الشاعر بنمو جرائم الشهوات كلها في نفسه . هل لئلا هذا الفتى أن تساوره الشكوك ، وهو كيفما التفت يميناً أو شمالاً أو علق نظره على الآفاق يسمع هاتفاً يدعو إلى الشهوة والأحلام ؛ وما من حقيقة يمكنها أن تتسلط على القلب في فتوته . كل شيء ينبت الأزهار للشباب حتى المقد المتصلة في أغصان السنديانة الهرمة . ولو كان للفتى ألف ذراع لدبها إلى الفضاء حتى إذا التفت على عشيقته أصبح هذا الفضاء في نظره مليئاً عامراً

وما كنت أحسب أن في العالم من عمل سوى الحب ، وعندما كان أحد الناس يخاطبني عن غير الحب ؛ كنت أدبر ظهري والتزم السكوت وكان ولهي بمحبوبي ولها وحشياً ألقى على حياتي طابع الرهينة والنسك

ولأوردن حادثة واحدة تثبت ما صوّرت من حالتي :

كانت محبوبتي أعطاني ذخيرة ضمنها رسمها المصغر ، وكنت أحمل هذه الذخيرة على مخفي قلمي أسوة بكثير من الرجال ولكنني وجدت يوماً عند أحد الباعة سلسلة حديدية علقت في طرفها دائرة على ظهرها نقوشات شائكة فابتعتها وربطت الذخيرة عليها وحماتها مديراً النعوشات لجهة صدري فكانت تفرز في جلدي فأشعر من ألمها بلذة غريبة ، وكثيراً ما كنت أضغط عليها بكفي مستريداً لذتي وآلامي ...

وما كنت لأجهل ما في عملي من جنون ، ولكن هل من جنون لا يقدم الحب عليه ؟ وعندما عرفت بخيانة حبيبتي ، خلعت هذه الذخيرة عني ويعلم الله ما كان عذاباً عندما تحررت من قساوتها

العظمى ، أما فعات ما وجب على فعله ؟ أما طردتها
من هنا ؟ فهل لك ما تقوله بعد ؟ أما الباقي
فلا شأن لأحد فيه سوى . أليس للثيران إذا
جرحت في الصراع أن تذهب بالتصل المغمدة في
كتفها إلى زاوية لتموت ؟

قل لي بربك ، إلى أين أذهب ، ومن من هؤلاء
النسوة اللواتي تسوقهن الصدف إليك . أنت تشير
إلى السماء الصافية والأشجار الباسقة والمساكن
العالية ، وإلى رجال يمربدون ويسكرون ويفنون ،
وإلى نساء راقصات وخيول تتراكم في السباق ؟
وما كل ما تشير إليه هو الحياة ، بل هو صخب
الحياة ، اذهب عني ودعني وشأني

فليكس فارس

(يتبع)

وما كنت سمعت عنها شيئا بعد أن أرسلت
لها كتابي الأخير فكنت أنساها : ما تفعل الآن ،
أتراها مشغولة بمشق سوى ، فما على إذن إلا أن
أعشق سواها

ولكنني كنت أسمع صوتاً يهتف بي من الأبعاد
قائلاً : ألك أن تحب سوى أنت ؟ لعلك جذنت :
أذلك ممكن لشخصين سادها الحب فتعانقا وأحدا ؟
أنت لم تعد أنت بعد وأنا لم أعد أنا

وكانت ديجنه يقول لي : متى نسلو هذه
المرأة أيها الجبان : أفترى في فقدك أيها خسارة
لا تعوض ؟ وهل كان عشقها لك اللذة الوحيدة
في الدنيا ؟ اتخذ لك عشيقاً أخرى ولينته الأمر

فكنت أقول له : لا ، ليس فقدى لها بالخسارة

نحن نشترى منكم قطنكم ونعيده إليكم

فأنتم الراجوه في الحالتين

شركة مصر للغزل والنسيج

تمدكم بكافة المنسوجات القطنية

قطن مصر . . صنع مصر . . فخر مصر

إنها إحدى مؤسسات بنك مصر



هوميروس



الأولاد لبيس

لهيرودس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

في بيلوس . . .
تليماك يسأل نسطور عن أبيه

مقدمة ما تقدم

« انتهت حرب طروادة وعاد القادة الاغريق جميعاً إلى اليونان ما عدا أوديسيوس فإنه لم يعد ، وكانت حرب شعراء بينه وبين إله البحار بوسيدون الذي أضل طريقه في البحر المحصورة قديمة بينهما . وكانت الربة ميرثا من أنصار أوديسيوس ، فدعيت إلى إيثاكا ، مدينة أوديسيوس ، لتحتضن ابنه تليماك على البعث عن أبيه وتعرضه على طرد عشاق أمه بثلوب من قصره . ذلك أن طول غياب أوديسيوس أطمع هؤلاء في جمال الملكة فأرادها كل منهم زوجة له ، ولكنها احتالت عليهم حتى استطاعت أن تجمعهم في قصرها لتضرب بعضهم ببعض ربةً يعود زوجها ويخلصها منهم . ولقيت ميرثا الفتى تليماك وأحضرت له سفينة مجهزة بكل ما تحتاج إليه رحلة طويلة مخوفة بالأخطار ثم أفلمت من معه في صورة أحد أمراء البحر (منتور) إلى بيلوس ليسأل أميرها نسطور عن أبيه الذي كان يزامله في حرب طروادة

برزت ذكاه من لجة المشرق فصيغت آرادها^(١) الذهبية جبين الأفق النحاسي ، وسلبت الأضواء الجميلة لتهدى إلى السبيل السوي ، وألقت السفينة مراسيها لتلقاه بيلوس ، مدينة بيلوس^(٢) ؛ حيث وجدوا القوم على الشاطئ ، يقربون القرايين باسم بوسيدون ، ذى الشعر اللازوردى ، وقد جلسوا في صفوف تسعة ، وفي كل صف خمسمائة شيخ عتيد . وذبحت كل فئة قرايينها : تسعة عجول سمان ذوات خوار ، فأكلوا الخوايا^(٣) ، وضخوا بالسواعد والأخاد ؛ ثم أقبل تليماك وبين يديه ميرثا تنهادى وتقول :

« تليماخوس ! تشجع يا بني ، ولا تحمل للاستحياء سبيلا إلى نفسك ، وتقدم إلى أمير هذه البلدة الصنديد ، نسطور ، فقد تكون لديه أخبار

(١) أشعة الشمس

(٢) بيلوس هو ابن بوسيدون (بتيون) إله البحار

والله أعداء أوديسيوس

(٣) الأعماء وما إليها

أدرك باطفتك التائبين إليك ، ونجهم من دأمانك
ببركة أسمائك ، مولاي وتقبل من نسطور ومن ذريته ،
وتقبل من جميع أهل بيلوس أنحياتهم ، ثم تفضل
يا مولاي فسد خطي تليماخوس وخطاي إلى ما أفلعنا
فوق هذا الراكب الشاحب من أجله .. آمين آمين !!!
وتناول تليماخوس الكأس بدوره ، ثم أفرغ
ما فيها ، وتتم بصلاة قصيرة ؛ وما كاد يفرغ حتى
تفرق المدعوون من أهل بيلوس طاعمين شاكرين ،
إلا منيرثا وصاحبها ، وبلا نسطور وولديه ثم
قال نسطور :

« أما وقد فرغنا من غدائنا فاذا أيها الوافدون
من أنتم ، ومن أين حاكم هذا البحر ؟ أنجار أنتم ؟
أم قرصان تملأون الشيطان ذعرا وفزعاً ؟ »
واستجمع تليماك شجاعته ، ونفخت فيه منيرثا
من روحها ، وتكلم فقال :

« على هينتك يا ابن نيلوس العظيم ، يا غر
هيلاس ؛ إني أنا ابن صديقك وصفيك أوديسيوس
سمعت إليك من أقصى الأرض أسألك عن أبي
أبي : صفيك وخليتك الذي صال معك تحت أسوار
اليوم وجال ، ثم لا أحد يعرف من أنبائه اليوم
شيئاً ؛ لقد انتهت إلينا أخبار الأبطال اليونانيين
جميعاً وعرفنا مصارعهم ، إلا إياه أين رقد ؟
وأني نوى ؟ وأيان قرت رفاقه إن كان قد شالت
نعامته ، أو مضى على وجهه في الأرض إن كان
ما يزال حياً .. إن الآلهة نفسها لا تشاء أن ندلنا
من أخباره على أثر . واشد ما أخشى أن يكون قد
نوى هناك ... هناك ... في أعماق مملكة نيتيون ،
مع الجيلة أمفريت^(١) . لذلك سميت إليك يا غر

(١) ملكة البحار وزوجة نيتيون

عن أبيك ، وقد يجلو لك الشكوك التي تخامرك ،
وثق أنه لن يخفى عليك من أمره خافية ، فقد
تقدمت به السن ، وهو اليوم أحكم الناس . »
ويقول تليماك :

« أوام يا منتور ! ما أحسبني أقوى على لقاء
الرجل ، وأنا من تعرف من قلة الشأن ورقة الحال أنا
الفتى الحدث . أني لي لقاء الشيخ ذي التجارب ؟ »
ونجيبه ذات المينين الزرجدتين :

« لا عليك يا بني : إن هي إلا كلمات تقولها
وعلى الله قصد السبيل ! ! العالم كله يعرف أنك
نشأت في ظروف قاهرة ما كان لك بها يدان ! »
ودلفت منيرثا ، وداف في إثرها تليماك ، حتى
كانا في وسط القوم ، وحيث جلس نسطور العظيم
بين أبنائه ، وحيث استقل أهله بالشواء ، وهب
الجميع للقائهما . وتقدم ابن نسطور الأكبر ،
بزرستراتوس ، فصاحهما هاشكاً ، وتلقاهما باشكاً ،
وأجلسهما فوق الفراء المتيوث إلى جنب أبيه ،
وأخيه الأصغر تراحميديس ، وقدم لكل مضمة
من حوبة ، ثم كأساً ذهبية من خمر معتقة ، تذوقها
قبل أن يحى بها ، ثم قال مخاطباً منيرثا :

« مرحباً بك أيها الضيف المكرم ! لقد
شرقت في عيد نيتيون ، فحبذا لو أفرغت باسمه ما في
هذه الكأس من خمر صلاة له وزكاة ؛ وحبذا لو
أشركت في التقديم زميلك ، فما أحسبه إلا محباً
للآلهة ، خائباً لها »

وتبسمت منيرثا ، وتناولت الكأس في وقار
وأرسلت هذه الصلاة باسم رب البحار :

« نيتيون العظيم تقدس اسمك ، وأحاط باليابسة
ملكوتك .. يا منقذ الضالين ومغيث المتضرعين ،

أأنك حقاً لولد أوديسيوس؟ أجل ! إنك بلاعك
وقسمائك عصّين دوحته ، وإنك بكلماتك العذاب
عُسلوج أرومته ! أوّه ، أوديسيوس ! يارفيني
الشباب وحبيب القلب ! لشد ما تعتلج في النفس
تلك الخاتمة الهائلة التي قضاهها على الأرجيف^(١)
سيد الأولب ، غب انتصارهم ، وقبّيل أوبهم !
لقد حنقت مينرفا على ولدي أوريوس إذ تنازعا فقال
قائل منهما نضحي لربة المدالة عند سيف البحر
تلقاء اليوم ، ولكن الآخر أبى وأبحر على أن يقدم
لها القرابين في أرجوس ! يا للتعديسين ! أجامننون
البائس ومنالايوس المسكين ! إنهما لم يصليا لينيرفا
لحاق بهما غضبها ، وعبثا حاولا بعد ذلك أن
يترضاها ! إختاف الاخوان ونام الجند حتى مطلع
الفجر ، ثم أقام نصف الاسطول في موج نائر
مصطخب من غضب الآلهة ، بقيادة أجامننون ،
وما هي إلا سويمات حتى هدا اليم ونام الوج ؛
وبلغنا تندوس فذبجنا الأصحيات باسم الآلهة ،
وسبجنا لرب البحار نبتيون فتطامن العباب ؛
ولسكدا ما كنا ندرى ما تنسجه يد (جوف)^(٢) حولنا
بل لم يكن يخاصرنا أقل شك في وصولنا إلى الوطن
سالمين . ذلك أن أوجه النظر اختلفت ثمة ، ونشب
بين القادة نزاع في الرأي : هل يلقعون من تندوس ،
أو يتلبثون بها حتى تنجلي العاصفة التي شرعت
تهب في عنفوان وشدة ؟ وهنا ، آثر ملاحو أبيك
أن يمودوا أدراجهم بسفائهم إلى طروادة ، وذلك
بحاملة للقائد العام . بيد أني لم أر هذا الرأي ، بل
فررت من العاصفة بسفائي إلى جزيرة لسبوس ،

هيلاس كما تحدثني عن أبي ، وكما تذكر لي بعض
ما تعرف عما ألم به إن كنت قد شهدته ، أو نقص
على ما عسى أن تكون قد سمعته من بعض حاشيتك
التي تجوب هذه البحار . قل . تحدث يا نسطور ،
ولا تخف عني شيئاً ... قل .. إني أستمع لك بكل
ما كان يفتديكم به في ساحة اليوم أن نقص على
أبناءه . لقد كان يحبك ويحلك ويوقرك ، فاجز
ابنه بعض ذلك »

وكأنما رأى نسطور حلماً لذيذاً فقال :

« ويحك أيها الصديق الشاب ! ما أروع
ما هجئت ذكريات الماضي المفعم بالأشجان !
ذكريات الذادة السادة والغاوير الصناديد ، الذين
سقطوا تحت أسوار اليوم العتيقة فأرووا نرى
الميدان بدمائهم ، وسطروا آية المجد بمهجهم !
إيه أخيلوس يا سليل الآلهة ؛ وبثرو كلوس يامعجز
الانداد والأقران ؛ وأجا كس ! ! أجا كس الذي
كان أمّة وحده : لقد رقدوا جميعاً تحت قلاع
بريام الجبار الشيخ ! ورفد معهم ولدي ! آه
يا ولدي ! أواه يا قطعة قاي وفلذة كبدي وعمرة حياتي
وسؤددى : يا أشجع الشجمان يا أنتيلوخوس !
آية قصة وآية مأساة ؟ يا رعاك الله أيها الشاب
الحزون : أني لي أن أقص عليك أحداث سنين
نسع كانت هموماً متصلة وأحزاناً فاجمة وآلاماً
تنسعر في جميع القلوب ! ؟ أي لسان ذرب
يقص فلا يعمل ، وأي مقول رطب يحكي وما يعي ؟
ألا لو أنك أقت تسمع الأعوام الطوال فما أحسب
القصة تنتهي ! القصة التي لم تجد فيها شجاعة
الألوف لولا خدعة أوديسيوس وحيالته ، وطول
أناته وحمته ! ولكن حدثني بربك أيها الشاب :

(١) جنود أرجوس إحدى مقاطعات اليونان

(٢) ريبوس أوجويتر كاسديه الرومان وهو كبير الآلهة

لقد نفذ اصطبارى وكأت حيلتى ... فإذا أعمل؟
وقال نسطور : « أبها الصديق ، لقد أذكرت
منى غافلاً ... ويحك تليماخوس ! لقد تناقل الناس
ما كان من حماقة هذه الطغمة التى تستبيح عرض
أوديسيوس ، وتستنزف ثروته ... ولكن ، من
يدرى ؟ هل آمنوا أن يعود يوماً فيستأصل شأقهم ،
ويبدل منهم ، وتكون له السكره عليهم ؟ لقد كان
أبوك العظيم حبيب مينرفا وصفها ، وهى لا بد آخذة
بناصرك كما أخذت بناصره من قبل ، وهى لا بد
مدركتك وشيكاً ، وحائلة بين أعدائك وأعداء
أبيك ، وبين هذه الزبجة المجرمة . »

ويحبيب تليماك :

« ألا من يدرى ؟ إنه لا أمل لى فى ذلك قط !
آه أبها الأحاسيس الغريبة التى تجيش فى قلبى !
الآلهة فقط هى القادرة على تحقيقك بمجزرة ! »
وهنا ، حدثته مينرفا بنظرة هائلة من عينيها
الزرجديتين ، وقالت له :

« تليماخوس ! أية كلمة هائلة زل بها لسانك ؟
ما أيسر على الآلهة أن تقول للمستحيل كن فيكون !
أنا نفسى كم بحشمت أهوالاً فى أسفارى ثم عدت
بمنابة أربابى سالماً إلى أرض الوطن : بل كم من
أناس ظنوا أنهم نجوا من الموت فى يم غشيم بموج
كالظلل ، فلما وصلوا إلى البر حاقت بهم منايهم كما
حاقت به منيته أجاممنون ، حين خر صريعاً بيد
إيجستوس الأنيم ؛ والمملكة ^(١) القادرة الفاسجرة
الزئيم : حقاً ، إن الآلهة لا تملك أن تحول بين المرء
وبين المنون ما دام قد جاء أجله ، مهما يكن حبيبها
وأعز عباها عليها . »

ولحق بنا ديوميدي ثم متالايوس فى إثره ؛ وأرسلنا
نمّة ؛ وانتظرنا إذناً من السماء ، أو قل بارقة من
الآلهة ، نقلع بعدها . وكانت العاصفة تشتد وترقص
فوقنا ومن تحت أساطيلنا ، فلم نبدأ من المجازفة ،
وإلا تكسرت جواربنا على الصخور وفوق
الأواذى ، ... يا للهول ! لقد بلغت قلوبنا الحناجر
قبل أن نصل إلى جيرىستوس ! حمدا لك يا نبتون
ونناء عليك ؟ وقل أن نذبح باسمك ألف قربان من
كل عجل جسد وكبش حنيذ ! ولقد فاز ديوميدي
فوصل بجنوده سالماً إلى أرجوس ، وكذلك فاز
الجبارة الميريدون ، جنود أخيل ، بقيادة شبله
العظيم نيوتوليموس ، فوصلوا إلى أوطانهم غانمين ،
ووصل من بعدهم فيلوكتيتيس ... كذلك
وصل أجاممنون وليته لم يصل ! لارب أنك سمعت
بما حاق به ! لقد قتله المجرم إيجستوس ^(١) ، ولكنه
دفع روحه نمّاً لفعائته ؛ إن العيش لم يطب لابن
أجاممنون حتى تار لأبيه ، فانقض كالصاعقة على
قاتله وغاله بيده ؛ يا للفخار أبها الصديق الشاب
حين تنتقم لأبيك فتسجل اسمك فى سجل
الحالدين ! ... »

وشاع العُجب فى نفس تليماك ، فقال :

« وبك نسطور ! إنه سيكون انتقاماً عادلاً بحق
السماء ، وستنفى الأجيال القادمة بقصته ، وسيرويه
الخلف عن السلف . كم ذا وددت لومكنت لى الآلهة
فى أعناق هذه المصيبة الفاجرة من العشاق الآثمين
الذين يدلون على بعددهم وعددهم ، والذين يقذفون
فى وجهى بالاهانة تلى الأهانة ... وأسفاه !
ليت شعرى لم لا تؤيد الآلهة حقى على باطلهم ؟

(١) كايسترا

(١) نمرحنا ذلك فى درامات إسخيلوس فى الرسالة

وسُلط على العباد أعواماً سبشماً طوالاً... كل هذا
والسما ساهرة لا تغفل ، فقد عاد أورست ابن الملك
الغائب ، وابن الملكة الفاجرة ، فأخذ عرض أبيه
وقتل الوحش اللثيم الذى دُئس شرف الملكة ،
ولطخ بالوحل هذا المجد الأثيل ، ثم قتل أمه ...
أجل ، قتل أمه وجمع حوله الأرجيف البؤساء يحتفلون
بهذا النصر ويصلون للآلهة التى أنقذتهم من ذاك
الشر ... وبينما هم فى أفراحهم وانشرائحهم إذا بالملك
المظيم يصل بأساطيله بعد رحلة طويلة مخوفة
بالمخاطر .. فاقعد أبجرنا (أنا ومثالا يوس) من طروادة
مما ، وما كدنا نبلغ صنيوم^(١) ، أول مرافق أثينا ،
حتى وقع مالم يكن لنا بحسبان ... ذلك أن رب الشمس
أبوللو غال بسهامه التى لا تطيش ربان الأسطول
العظيم ، فرونتيس ، فاضطر الملك أن يلقى مراسيه
حتى يصل على صديقه ويقيم الشماثر على جثمانه ؛
ثم أقلع ، وما كاد ، حتى اضطرب البحر ، وفترت
اللاجج أفواهاها ، وتدافع الموج حول الأسطول
كالجبال ، وعمّ الجو ، وغامت السماء ، وانقضت
الصواعق فانشعب الأسطول وتفرقت سفائنه ،
وانشطرت وحداته ، فبعضها شرّق وبعضها غرّب
وبعضها عم شطر سيدون عند كريت ، وبعضها
اتجه برغمه نحو شطآن مصر ، وبعضها غاص إلى
الأعماق ، وخمس فقط ... وصات بعد طول الجهد
الى هنا ... »

« بنى ... أيها الصديق الشاب ... أخاق بك
أن تذهب من فورك الى مثالا يوس فتسائله عن
أبيك ، فلقد لقي الأهوال فى البحر ، ولا ريب أنه
سمع بكثير مما جرى فيه من مختلف الأمم فى رحلته

وعبس تلمك عبوسة خفيفة ، وقال :

« مهما يكن الأمر فلندع هذا الآن يا منتور ؛
إننى لا أمل لى مطلقاً فى عودة أبى ، ولكنها أفضية
من السماء ومقادير أن أذرع وراة البحار ، وأن
أعود فأسائل نحر اليونان نسطور ، اللبيب الأريب
الذى حكم كما هو مانور أجيالاً ثلاثة ، والذى بتأني
فى عينيه سناء الآلهة ... أعود فأسأله كيف قتل
أجاممنون ؟ وكيف تهياً لا بجستوس أن يقتله ، وهو
من هو أعلا منه نسباً وأعز حسباً وأشرف قدراً ،
وأين كان مثالا يوس الملك شقيق أجاممنون ؟ ألم
يكن قد عاد بعد إلى أرض الوطن ؟ أم كان ما يزال
بطوى الآفاق فشجع ذلك إيجستوس ونفخ فى
قلبه ؟ »

وقال نسطور : « رويدك أيها الصديق الشاب
فانى قاص عليك نبأ مالم يأتك به علم ... فآله لولم
يقتل إيجستوس قبل عودة مثالا يوس ، ما أقيم على
رفاته جدث ، وما بكت عليه عين ، ولألقى بدنه
النحس لكلاب البرية وطير القلاة تنوشه وتمزقه
وتفتدى به ، جزاء قمامته الشنعاء ، وجرمه الذميم
وخطيئته التى لا تغفر . إصنع إلى ... لقد أناب
مثالا يوس عنه حارساً أميناً يسهر على أمور الملكة
ويكون فى خدمة الملكة ... ذلك هو أريديس
الحكيم ، الذى تغفله إيجستوس ، واتصل بمولاه
سراً وهو لا يدري ، واستطاع أن يدبر معها هذه
المؤامرة الشنيعة التى انتهت بنفى الحارس الأمين ثم
قتله فى برية موحشة غابته فيها السباع الضارية
والأوابد^(١) الكاسرة ، حتى إذا خلا لها الجو
أسلست له الملكة القياد فحكم وساد وطنى واستبد

كوكون ، ولتأذن فتمنحه عربة وزوجاً من صافنات جياذك ليلحق بناةمة ، يصحبه أحد أبنائك ، مادمت قد عرفت فيه ابناً لأعرأحبائك وأوفى أصدقائك »

ثم حدثت المعجزة ... فانه ما كادت ميترفا تتم كلامها ، حتى انتفضت انتفاضة هائلة ، ونحوات من صورة منتور أمير البحر إلى نسر عظيم مهبوب اللفتات ، ما عثم أن ضرب الهواء بخافيتيه ، حتى خلق في السماء ، وغاب في لانهايتها ، بين دهش القوم ، وشديد حيرتهم

وتناول نسطور العظيم يد تليماك ، وظل يقاب فيه بصره ، ثم قال :

« أيها الصديق ؛ لقد ما عظمت منزلتك ، وسما مكانك . حتى لتكون في رعاية الآلهة وعناية السماء : هذه دون أي ريب ابنة سيد الأواب — الكريمة ميترفا — التي ما وقرت أحداً من أبناء هيلاس كما وقرت أباك

« ولكن أنت ؛ أنت يا مليكة المعدلة صرعت إليك أن تنلطي ببناء جيمياً ؛ أمنحيني بركتك ... أنا وأبنائي وشعبي ... اكتبني أسماءهم في الخالدين ، وسنصلي لك ونذبح باسمك بقرة ؛ لاذلول نسير الأرض ولا تسقى الحرث ؛ مسلمة لاشية فيها ؛ منضورة بالورد ، محلاة القرنين بالذهب »

وقبات ميترفا صلاته ، ولبت دعاءه ، ونهض وفي إثره أبناءه وأحفاده ، وفتحت أبواب القعر وتقدمت ندمانه الشراب فقدمت إليه كأساً من خمر لها نسب من عهد آدم فأفرغها في الأرض تحية لميترفا ، واقتدى به مأؤه فأفرغوا كؤوسهم ، ثم مضوا إلى غرفاتهم ، ومضى الملك مع تليماك إلى

المشثومة ... هلم ... إنطلق إليه ... وإن لم تسمعك سفينتك فاني بمدك بكل ما تحتاج من مركب البر أو البحر ، وهامم رجال ممك أينما توجهت ، بل هامم أبنائي ، ليصحبك أحدهم ، أو كلهم ، إلى منالايوس ، فان عنده الخبر اليقين »

وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، والليل قد نثّر ظلامه فوق الطبيعة المنهوكه الحامدة فهضت ابنة زيوس العظيم ، ميترفا الخالدة ، وهي ما تزال في صورة منتور أمير البحر وطيلسانه ، فقالت : « سرحي باغر هيلاس ؛ لقد قلت حقاً وتكلمت صدقاً ؛ هلم ، البدار البدار ، قطعوا ألسن القرايين^(١) وأريقوا الخمر باسم الآلهة ، وباسم أيتيون قبل كل شيء ... »

وانتشر الولدان بين المدعويين يصبون الماء على أيديهم بعد إذ أدوا التحية الخمرية القدسة لأربابهم ، ثم تفرقوا شيماً ، ونهض تليماك وصاحبه لينصرفا ، لولا أن صاح بهما نسطور :

« حاشا يارفاق ؛ أنما ضيقتي ، فكيف تبينان في سفينتكما تحت ظل الليل وهذا بيتي فيه كين السكا وفراش ونير ، وفيه والحمد للآلهة ، خير كثير ، وهؤلاء أبنائي ستمار كما وهم نعمة طوع السكا »

وشكرت ميترفا الملك عطفه ثم قالت : « بوركت أيها الملك ، ليق تليماك هنا ، ولأَمْض أنا إلى البحر لأسهر على صوالج مركبي ، ولأطمئن بحارتي ، فكلهم أتراب تليماك ، وكلهم متطوعون لخدمته وفاء وحباً ، وايس يجمل إلا أن أبيت أنا معهم تلك الليلة ، على أن نطلع صبيحة الغد إلى

(١) كان من التقاليد الشائعة أيام هوميرو أن تقطع ألسن القرايين وتحرق باسم الآلهة لينصرف الجمع

قبائله يرسبوس يتلقى الدم في وعاء كبير . ونهض
نسطور الأب فسيح وصلى أمام نار كبيرة
مضرة ، وتمم باسم ميترقا ، وقذف في اللظى
بكمكنتين كبيرتين ، وبناصية القربان ، وبقدر قليل
من الماء المقدس . وإذا انتهى الجميع من صلاتهم
نمر تراسيميد عن ساعده وجزر القربان ، وانكب
الجميع بجهزونه ، وكانت يوريديس الجميلة المفتان
تمنى أشد عناية بالفخذين ، فسترتهما بثوب غال
من اللدياج ، وكان نسطور نفسه ينثر الخمر المقدسة
والمطور والأرواح . . . وهكذا أخذ الجميع في
شفاهم ، وشرعوا يلقون في الجر بالحوايا ، وشرعت
بوليكاست تنثر البهار والتوابل . . . ونهادى
تايماخوس بعد هذا فاستوى إلى جنب الملك ،
وانصب الولدان والنسدى يصبون الخمر ، وبدأ
السكر يأكلون هنيئاً ويشربون مرثياً

وما كادوا يفرغون حتى أمر نسطور فهيئت
الصافنات الجياد لرحيل تايماخوس وأحضر القواص
عربة كبيرة مثقلة بكل ما يحتاج الرحلة من زاد
وعتاد

وأخذ تايماك مكانه من العربة الأولى ، واستوى
إلى جانبه يزستراتوس أشجع أبناء نسطور ، ثم
سلم تايماك وودع ، وشكر وأثنى ، وجذب عنان
الحيل فانطلقت تنهب الرحب ، وتبتمد عن يبلوس
وتطوى الزمان

وبانوا ، مع مغرب الشمس ، فيريه ، حيث
تلقاهم رب البيت بالبشر والترحاب ، وباتوا عنده ،
حتى أيقظهم أوروا المشرقة . فواصلوا رحلتهم إلى
أسبرطة

مجدع وثير ، وفراش من حرير ، وأمر ابنه
يزستراتوس فقام معه ، ثم ذهب حيث وجد الملكة
في انتظاره

ونشرت أوروا^(١) غلالها الذهبية في مشرق
الآفق ، فاستوى نسطور على عرشه الرمرى التأتاني
عند بوابة القصر ، حيث كان أبوه نايوس يجلس
كأله للنظر في صوالح العباد ، وأقبل بنوه الستة
ومعهم تايماك الذى جلس إلى جنب أبيهم وتحدث
إليهم نسطور فقال :

« هلو يا ببنى ، لنذبح القربان المقدس باسم
ميترقا السكرعة التى باركت حَفَلَمَنَّا أَمْس ؛
لينطلق أحدكم إلى الحقل فليحضر ثوراً^(٢) سمياً ،
وليذهب آخر فيدعو رجال تايماخوس — إلا
اثنين — من السفينة ؛ ولحمض ثالث فليأت بالصناع
الفنان (ايرسيوس) ليجلل قرنى القربان بالذهب
وليبق الآخرون هنا ، ثم لتحضر كل حاشيتنا من
النساء ليكسبن الولية بهجة ورواء »

وأطاع أبناءه الأوفياء ، وأحضر القربان ، وأقبل
الملاحون الأمناء ، ثم قدم الفنان ليغلى قرنى البهيمة
بالذهب . . . ثم . . . وافت ميترقا . . . ميترقا نفسها
لتشهد الطقوس التى تقام باسمها . . . ، وبدأ الفنان
عمله ، فأخذ يرقى صفائح الذهب ويثبتها بمهارة
في القرنين الصغيرين . وتقدم أرييتوس بن نسطور
وفى إحدى يديه باقة كبيرة من الزهر وفى الأخرى
سلة من أخضر أنواع السكمك ، وتقدم ابنه الثانى
تراسيميد وفى يده شاطور كبير ليذبح الثور ووقف

(١) رية الفجر وحادية عربة أبوللو حين يركب الشمس
عند المشرق

(٢) كان على نسطور أن يذبح بقرة مسلمة